

يوم الـ١١ يوليو ١٩٨٢ سنة

لِلْأَمِيرِ
عَمْرٍو طَوْسُونِ

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

مطبعة ضياع الدين بالأسكندرية

يوم ١١ يوليو ١٩٨٢

لِلْإِمِيرِ
عَمْرٍ طَوْسُونِ

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

مَطْبَعَةُ صِلَاحِ الدِّينِ بِالْأَسْكَنْدَرِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يقبل علينا شهر يولييه من كل سنة فيذكرنا باليوم الأسود يوم ١١ منه ذلك اليوم الذي داست فيه انكلترا المعاهدات الدولية وتعلقت بأوهى الأسباب وضربت مدينة الاسكندرية . فاقترفت بذلك سبة الاعتداء على أمة لم يكن بينها وبينها إلا السلام واجترحت اسم التهجم على بلاد لم تلوئها الحرب ولم تبادئها بالعنوان والخصام .

ومن رأينا أنه لايجدينا شيء اكثر من ذكريات تاريخنا وأن الجسد لنا كل الجسد في استثارة دقات هذا التاريخ والاعتبار بتلك الذكريات حلوها ومرها . فاذا قلبنا صفحاته ورأينا فيها صفحة مجيدة نشرناها لأنها تحيي فينا روح الأمل بعودة ماضينا . وان كانت الأخرى وألفيناها صفحة سوداء لم نطو دونها كشحا ولم نضرب عنها صفحا لأننا لو سترناها وأغضنا الطرف عنها أمسينا في عمالة ولم نعرف أخطائنا فكان ذلك مدعاة لبقائنا في غفلتنا سادرين وسيا في جهلنا بعللنا الخلقية وأمراضنا الاجتماعية أبد الأبدن .

نعم ضربت انكلترا بمدافع أسطولها حصون مدينة الاسكندرية
وتقلبت عليها وترتب على ذلك ما ترتب من الاحتلال وما جره وراءه
من النتائج الخطيرة التي لا زلنا نعاني شدايدها ونقاسي أهوالها ونكتوي
بنارها . وهذا كله أمر معروف مفروغ منه . ولكن ماهي الأسباب
التي حملتها على هذا العدوان ؟ وما هي الحالة التي كانت عليها حصون
مدينة الاسكندرية ؟ وهل كان في امكانها مقاومة هذا الاسطول ؟
وهل كانت قواها متفاعة ؟ وما مقدار هذا التفاوت ؟ وهل قام
الجيش المصري المربط في هذه الحصون بواجبه الوطني في الذود عن
البلاد والدفاع عن هذه الحصون حتى النفس الأخير ؟ وهل كان
في مقدور ساستنا وأولي الرأي والأمر فينا تغيير موقف انكلترا
العدائي ؟ وما الذي حال بينهم وبين هذه السياسة القوية الحكيمة ؟ ثم
على من تقع بعد ذلك تبعة تخريب هذه الحصون وقتل هذه
الأنفس العزيرة وضياع البلاد ؟ هذه كلها أمور تمر بخاطر الناس
وخاطر المصريين خاصة ولكنهم لا يجندون عنها جوابا . فأردنا
أن نكتب هذه الرسالة في هذا الموضوع لدعوا بها المصريين
الى تذكر يوم ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ حتى يخطر دائما يالهم
ويعتجز بأنفسهم ويكون نصب أعينهم في ليلهم ونهارهم . ثم لنجول
هذه الأمور الغامضة ولنكون على بينة من الأسباب والنتائج
ولنستخلص من كل ذلك العبرة التاريخية لتكون لنا تذكرة
نتفنع بها في حاضرنا ومستقبلنا وانما يتذكر أولو الالباب ؟

عمر طوسون

حصون مدينة الاسكندرية

١ - من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك

كانت مدينة الاسكندرية أوسع رقعة قبل الفتح الاسلامى منها بعد هذا الفتح ، وكانت دائرة أسوارها القديمة المحيطة بها أكبر من دائرة سورها فى حكم العرب .

ذلك أنها كانت عاصمة المملكة المصرية منذ أسسها الاسكندر الأكبر الى أن فتحها العرب ، فحلت عنها عساكر الرومان وأسرههم وحكامهم وكثيرون من النازلين بها من طوائف الأمم المختلفة ، خصوصاً بعد أن فتحت الفتح الثانى فى عهد خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وبعد أن اتخذت مدينة القسطنطين عاصمة للديار المصرية واكتظت بالسكان.

وكانت فى عهدها القديم مدينة منيعة حصينة غاية الحصانة مشهورة بأسوارها العديدة وخنادقها العميقة وأبوابها المحكمة وأبراجها الكثيرة الباذخة وحصونها العديدة الشائعة .

ولقد غانى العرب فى فتحها شدة وأهوالاً وظلوا فى حصارها ومهاجمتها أربعة عشر شهراً ، يصبحونها ويمسونها بالنارة تلو النارة حتى فتحها الله عليهم ، فهالهم ما رأوه فيها من وثيق البنيان وكثرة السكان ، وعظيم الحصانة وال عمران ، وفسح الميادين ، وعجيب الملاعب والعمد والأساطين ، وغرائب المباني والقصور ، ووفرة الحوائث والأسواق

والدور، وروائع المسلات والعمارات والهياكل والكنائس والخانات .
ولما ظنوا أنها دانت لهم اتخذوا بها رابطة وشحنوها بمقاتلتهم،
وعاد الفاتحون مع أميرهم عمرو بن العاص الى داخلية البلاد ،
وتفرقوا في أنحاءها واتخذوا القسطاط داراً لامارتهم . وظلت الحال
على ذلك ردحا من الزمن .

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل عنها
عمرا واستعمل عليها بدلا منه عبد الله بن سعد بن ابى السرح فلم يمحض على
ولاية هذا ايام حتى ثارت الاسكندرية على حاميتها فقتلوا واستولوا على
مرابطها وكانوا قد كتبوا بذلك الى ملك الروم فأرسل اليهم المقاتلة والامداد
فلكوا المدينة وخرجوا منها لقتال المسلمين والاستيلاء على الريف ثم
على سائر مصر وعند ذلك طلب المسلمون من الخليفة أن يعيد اليها
عمرا لأن له هبة في صدورهم ومعركة بحريهم . فأعادها وعادت
الحرب بينه وبينهم وكانت حرباً شعواء كتب الله النصر فيها للمسلمين وقد
حلف عمرو لئن فتح الله عليه مدينة الاسكندرية ليهيمن حصونها
وأسوارها . فلما فتحها الله عليه برّ بقسمه وسواها بالأرض ،
حتى لا تعود تقتطض على المسلمين مرة أخرى ويعتصم مقاتلتها
بأسوارها وحصونها .

وفي هذا الفتح الثانى استحر القتال بين عمرو والروم
بالقرب من باب السدره فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولما رأى
القتل قد استحر فيهم أمر برفع السيف عنهم رحمة بهم ،

وأُسس في هذا المكان مسجداً أسماه (مسجد الرحمة) وهو المسجد المعروف الآن بمسجد العمري عند تقابل شارع أبي البرداء بشارع الخديو الأول . وكان هذا المسجد أكبر مما هو عليه الآن كثيراً .

ثم في أثناء ولاية أحمد بن طولون على مصر عندما استقل بها في نحو سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) أحاط الاسكندرية بسور جديد خوفاً من غارة عسكر الخليفة عليها . ويقال إن هذا السور هو الذي بقي إلى أن دخلها الفرنسيون كما يقال أيضاً انه تهدم وأنه بنى ثانياً في أيام حكم المماليك البحرية وأن هذا هو الذي بقي عند مجيئ الحملة الفرنسية .

واليك النصوص التي استندنا إليها في هذا الشأن :-

قال ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) في كتابه (فتوح مصر ص ٤٢) :-

كانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض -
منة وهي موضع النار وما والاها ، والاسكندرية وهي موضع
قصة الاسكندرية اليوم ، وبقية . وكان على كل واحدة منهن سور
وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا -
ثم نقل عن طريف الهمداني أنه كان على الاسكندرية سبعة حصون
وسبعة خنادق . ١ هـ

وجاء في خطط المقرئى المتوفى سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١ م)
ج ١ فى آخر الكلام على مدينة الاسكندرية مانصه :-

وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة
عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس ويده ربح لا تضيق به
حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر الى تحت المدينة . وقد عمل
لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومناقد للهواء - إلى أن
قال - وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة
الألوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول . اهـ

وقال ابن عبد الحكم فى كتابه الآف الذكر ص ٨٠ :

لما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية وهرب
الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف
رجل من أصحابه ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من
الروم فى البر . فرجع من كان هرب من الروم فى البحر الى
الاسكندرية قتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب
منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها . اهـ

وهذا النص يتعلق بفتحها الأول .

وجاء فى الصفحة ٨٢ منه :-

وكتب عمرو بن العاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه - أما بعد ، فأتى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير

أني أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية وأربعمئة ملهى للملوك .

وعن أبي قيل أن عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر . وعن محمد ابن سعيد الهاشمي قال : ترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو بن العاص أو في الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى - إلى أن قال - وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال فلقق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار غمل فيها ثلاثون ألفا مع ماقدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقي من بقي من الأسارى من بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان . اهـ

وجاء في الصفحة ١٣٠ منه :-

لما استقامت للسلبين البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع في السواحل والنصف مقيمون معه . وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدم شاتية ستة أشهر . وكان لكل عريف قصر ينزل فيه من معه من أصحابه واتخذوا فيها أعانته . اهـ

وجاء في الصفحتين ١٧٥ و ١٧٦ منه :-

كانت الاسكندرية انتفضت وجاءت الروم عليهم منويل
الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم
ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث . وقد كان عثمان بن عفان
عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد . فلما نزلت الروم
الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من
قتال الروم فان له معركة بالحرب وهيبة فى العدو ففعل . وكان
على الاسكندرية سورها خلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم
لهبمن سورها حتى توتى من كل مكان - إلى أن قال - وقتلهم عمرو حتى أمعن فى
مديتهم فكلّم فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني فى ذلك الموضع الذى
رفع فيه السيف مسجد وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد
الرحمة وانما سمي مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هناك ، وهدم سورها كله . اهـ

وهذا النص يتعلّق بفتحها الثانى .

وقال على باشا مبارك فى خطه ج ٧ ص ٤٣ :-

وفى القرن التاسع من الميلاد اعنى بعد فتح مصر
بقرنين أيام خلافة المتوكل وهو العاشر من بنى العباس والثانى
والثلاثون من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هدم
أحمد بن طولون الأسوار القديمة (١) وبني غيرها فاما كان جهة البحر

(١) - لا يفتق هذا مع النص الذى ذكرناه سابقا إلا أن يكون المراد أنه هدم أسوارها لان
أسوارها هدمت على يد عمرو بن العاص بعد انتفاضها وقتها لفتح الثانى كما ذكره ابن عبد الحكم .

وفى رأينا أن عمرا هدم أسوارها لى كانت تحرق فتحها وهى أسوارها من ناحية البحر ورك
أسوارها البحرية على ما كانت عليه . وذلك يستقيم الكلام هنا ونفيا يأتى .

والغرب بقى على ماكان عليه مع بعض تغيير . وأما ماكان من الجهة الشرقية والجهة القبلىة قد دخل كثيرا لخراب هاتين الجهتين وذكر بعضهم أن ابن طولون انما عمر الأسوار القديمة فقط ثم فى سنة ١٢١٢ م اعترى المدينة والأسوار تخرب فاحش فبنى أحد من تولى على تخت الديار المصرية بعد صلاح الدين أسوارا آخر وهى التى بقيت الى دخول الفرنساوية .

ثم قال :-

وبهذا الانتقال كانت مساحة المدينة فى زمن ابن طولون أقل من نصف مساحتها فى زمن الرومانيين وبقى على ماوضعها عليه ابن طولون الى زمن دخول الفرنساوية لكنها على حسب الأزمان والأحوال كانت أخذت فى التخرب . وفى سنة ١٧١٨ م بناء على ماذكره مابى قنصل فرنسا فى ذاك الوقت فى وصف اسكندرية كان التخرب قد اعتراها وغير معالمها حتى صار لا يوجد فى مدينة العرب أكثر من مائة بيت وتحول غالب الناس الى ساحل الميناء وبنوا منازلهم فوق الأرض التى حدثت من انحسار البحر فى محل السبع غلوات وهجرت مدينة العرب بالكلية فكانت خرابا بلقعا لا يأوى اليها إلا أشقياء الناس . وتلك البلد التى حدثت بنيت باقراض مدينة الاروام . وعلى هذا كان الخراب متندا من مكان مدينة كانوب (ابو قير) الى باب العرب (بالمكس) على ساحل البحر ، ومن جهة الأرض الى ساحل البحيرة وخليج

اسكندرية . وكان لا يزيد عدد أهل البلد الجديد عن أربعة آلاف نفس . ١٠

٢ - في أواخر حكم المماليك الجراكسة

قال خليل بن شاهين الظاهري حاكم الاسكندرية في عهد السلطان الاشرف برسباي من سلاطين دولة المماليك الجراكسة والمتوفى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٦٨ م) في كتابه (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) ص ٣٩ في الكلام على ثغر الاسكندرية وحصونه ما نصه :-

فصل في ذكر ثغر الاسكندرية

وهو أجل ثغور الاسلام وأعظمه يشتمل على سورين يحكمين بهما عدة أبراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة وللثغر عدة أبواب محكمة حتى أن على كل باب منها ثلاثة أبواب من حديد وبأعلى الأبراج مناجيق ومكاحل . وفي وقت الضرورة يعلق على كل شراقة قنديل . وهذا الثغر في غاية التحصين وعلى كل برج منه أعلام وطلبخانه وأبواق وحرسية يشهر ذلك وقت الضرورة . ١١

٣ - قبل حكم محمد علي

كانت حصون مدينة الاسكندرية عند قدوم الحملة الفرنسية عبارة عن سور يحيط بها فيه أبراج ومزاغل ومرامي للشار وحوله خندق يصل اليه ماء البحر الملح .

وهذا السور كان يسمى سور العرب لأنه بنى فى زمن
حكمهم وهذه حقيقة لاريب فيها لأن دائرة
هذا السور كانت أضيق كثيرا من دائرة مدينة البطالسة
أى الاسكندرية القديمة عند استيلاء العرب عليها :

وليك تخطيط سور العرب المذكور :-

الجهة الشمالية منه

كان السور يتسدى فى هذه الجهة من موقع الباب
رقم (١٠) من أبواب مخازن الجمارك الحالية أمام شارع
البحرية ويمتد فى استدارته إلى ناحية الشرق مسافة
قدرها ٣٤٠ مترا حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة
منه باب يدعى (باب البحر الغربى) - الباب الأخضر -
وموقعه الآن عند تقابل شارع الطوبجية بشارع الباب
الأخضر . ثم يمتد فى استدارته أيضا إلى ناحية الشرق
مسافة أخرى قدرها ٣٥٠ مترا إلى أن يقطع شارع دانسطلسى .
ثم ينحرف إلى الجنوب قليلا ويمتد مسافة قدرها ١٠٠ متر .
ثم ينكسر متجها إلى ناحية الشمال ويمتد مسافة قدرها ١٥٠ مترا
حتى يصل إلى نقطة موقعها الآن وراء المحكمة المختلطة
بقدر ٦٠ مترا تقريبا . ثم يعتدل مشرقا مسافة قدرها ١٠٠ متر
حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى

(باب البحر الشرق) كان موقعه بالقرب من تقاطع شارعى مسجد الطارين والسبع بنات الآن . ويمتد مسافة أخرى في هذا الاتجاه قدرها ٢٢٠ مترا حيث موقع البورصة الآن . ثم ينكسر مرة أخرى متجها الى الشمال مسافة قدرها ١٨٠ مترا مخترقا شارع البورصة القديمة الى نقطة تقابله بشارع سعد زغلول . ثم يعود فيعتدل الى ناحية الشرق الشمالى امتدا مسافة قدرها ٨٠ مترا تقريبا حتى يصل الى موقع محطة الرمل الآن . ثم يرجع فينكسر الى ناحية الجنوب امتدا مسافة قدرها ٢٢٠ مترا غرب شارع المسلة بمقدار ٣٠ مترا ثم يعتدل مرة أخرى الى ناحية الشرق ويكون حيثئذ في شمال شارع السلطان حسين كامل الآن وعلى بعد ٣٠ مترا منه امتدا مسافة قدرها ١١٠٠ متر حتى يصل الى موضع حدائق البلدية الآن من شارع بلجيكيا .

الجهة الشرقية منه

هذه الجهة تبتدىء عند تقاطع شارعى بلجيكيا والسلطان حسين كامل في موضع حدائق البلدية الآن ويتجه السور من هذه الجهة نحو الجنوب امتدا مسافة قدرها ٢٣٠ مترا تقريبا حيث كان يوجد في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب رشيد) أو الباب الشرق . ثم يمتد مسافة أخرى في هذا الاتجاه قدرها ٣٠٠ متر تقريبا حتى يصل إلى موقع شارع الأمير عبد القادر الجالى .

الجهة الجنوبية منه

هذه الجهة من السور كانت تبتدىء من الجهة الشرقية الجنوبية . ثم يمتد السور منها ناحية الغرب مسافة قدرها ١٠٠٠ متر

تقريبا حتى يصل الى موقع محكمة العطارين الجزئية الآن . ثم
يميل إلى ناحية الشمال قليلا تمتد مسافة ١٠٠ متر حتى يصل الى جنوب
كوم النكة . ثم ينحرف الى ناحية الجنوب قليلا تمتد مسافة قدرها
٢٧٠ مترا إلى أن يصل إلى موقع محطة مصر القديمة حيث كان يوجد
في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى قديما باسم (باب الصوري) ثم
دعى بعد ذلك باسم (الباب الجديد) و (باب محرم بك) . ثم يمتد
مسافة أخرى في هذا الاتجاه قدرها ٣٥٠ مترا الى أن يصل الى مبتدأ
موقع شارع الخديو الأول ثم يستدل إلى ناحية الغرب تمتد مسافة قدرها
٣٥٠ مترا في امتداد شارع الخديو الأول حيث كان يوجد في نهاية
هذه المسافة منه باب يدعى (باب سدره) أو (باب العمود) وموقعه
الآن عند تقاطع شارعى عمود السوارى والخديو الأول . ثم يمتد في
هذا الاتجاه مسافة أخرى قدرها ٩٧٠ مترا الى أن يصل الى موقع بورصة
ميناء البصل الحالية ويدور حولها تمتد في استدارته مسافة قدرها
٢٤٠ مترا تقريبا الى أن يصل الى ترعة المحمودية .

الجهة الغربية منه

تبتدى هذه الجهة من السور المذكور من جنوب
هويس ترعة المحمودية الواقع أمام شون الاقطان ويمتد
السور منها متجها الى الشمال مسافة قدرها ٣٥٠ مترا حيث
كان يوجد في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى
(باب المغارات) وموقعه الآن بشارع الكوبرى القديم

أمام مكابس الأقطان . ثم يمتد في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٨٠ مترا . ثم ينكسر متجها قليلا الى ناحية الشمال الغربى تمتد في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٣٠٠ متر حيث موقع رصيف جمر ك المحمودية الآن . ثم يعتدل الى ناحية الشمال تمتد مسافة قدرها ١٠٠ متر مارا بموقع مخازن الجمر ك الآن ثم يستدير نحو الشرق قليلا مع اتجاهاه الى ناحية الشمال تمتد في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٦٥٠ مترا مارا بمواقع مخازن جمر ك الاسكندرية ومكتب البريد حيث ينتهى بالقرب من مواقع مخازن الدخان الآن غربى شارع البحرية . أى عند بدايته في موقع الباب رقم (١٠) الآف الذكر .

ومن هذا الوصف يعرف أن جزا من مدينة الاسكندرية الحالية كان موجودا وقت مجئ الحملة الفرنسية ولم يكن داخل هذا السور وهذا الجزء هو الواقع شمال هذا السور بين الميناء الشرقى والميناء الغربى ويشتمل على قسم رأس التين وقسم الجمر ك وجزء من قسم المنشية ولا بد أن يكون السبب فى ذلك يرجع الى أن هذا الجزء كان فى قديم الزمان مغفورا بالماء وكانت المينأتان متصلتين ببعضهما وكانت المدينة متصلة بجزيرة فاروس بواسطة جسر من الأحجار . وكان هذا الجسر هو الخط الفاصل بين المينائين المذكورتين وكان حد الاسكندرية الشمالى ينتهى بسور العرب ولا يجاوزه .

والنتيجة المترتبة على ذلك هي أن هذا الجزء لم يشيد ولم يصبح في الحالة التي وجدته عليها الحملة الفرنسية إلا بعد أن ردم هذا الجسر وطمر واتصلت الميناآن ببعضهما ثم اتصلتا بحزيرة فاروس .

أما بناء هذا السور الحربي فانه كان على مايلوح من البناء العاخر كما تدل على ذلك صوره ورسومه المخططة في كتاب (وصف مصر) لعلام الحملة الفرنسية .

وبما يؤسف له أشد الأسف عدم الاحتفاظ بهذا السور الأثري القيم الذي هدم جانب منه وهو الجزء الواقع بالقرب من المينائين في عهد حكم محمد علي . ثم تهدم جزء آخر منه في حكم الخديو اسماعيل . وباقية هدم في عهد الاحتلال الانكليزي .

واليك وصف هذا السور وقت مجيء الحملة الفرنسية كما جاء في كتاب (وصف مصر) بالجزء الخاص بمدينة الاسكندرية الحديثة :-

لا يحتوي سور هذه المدينة المهجور الذي بعض اجزائه محصن بأكثر من ١٠٠ برج مختلفة الأشكال إلا على جزء من مدينة الاسكندرية اليونانية الرومانية القديمة . ويسمى هذا السور من زمن بعيد بسور مدينة العرب لأنه يظن أن امراء

الامة العربية الذين دام لهم حكم الاسكندرية ومصر نحو ١٢٠٠ سنة هم الذين بنوه .

ويسمو لنا أن الواقع هو أن هذا السور الذى يبلغ امتداده ٧٨٩٣ مترا قد شيد العرب أكبر جزء منه فى القرن التاسع الميلادى (القرن الرابع الهجرى) وحالة حيطانه الآن التى يحيطها خندق ضيق، سبته على وجه العموم . وبين أبراجه الكثيرة الشاهقة التى أكثرها رجب وبنائها غم، يشاهد بعض أبراج واقعة على المينائين وعلى أطراف المدينة الحديثة يرجع تاريخ اقامتها الى القرون الأولى التى انشئت فيها مدينة الاسكندرية القديمة . فقد نقل الخلف عن السلف أن واحداً من هذه الأبراج وهو الذى يشرف على الفرضة الجديدة (الميناء الشرقية) من صنع يد الرومانيين وهذا البرج مازال الى الآن يسمى (البرج الرومانى) وهو البرج القائم قرب مسلات كليوباتره وعلى الشمال منها .

وهنا لك برجان آخران يلفتان النظر بضخامتهما ولونهما العتيق أحدهما قائم على الميناء الجديدة ومطل على مدخل الساحة التى عندها تنتهى قناطر المجرى المائى . والثانى يشرف على الميناء القديمة وبداخله برج آخر قائم فى وسطه . وهذا البرج المزدوج المتصلة حيطانه من الداخل بقبو مستدير، رجب جداراً وبنائه أنيق . كما أن بعض أبراج اخرى كانت أجزاءها السفلى تستخدم ولا بد لحزن الماء .

ويوجد صهرج غم في برج من الأبراج المطلة على واجهة المدينة الحديثة الجنوبية .

وقد رُم الحصن القائم في الزاوية البارزة الواقعة جنوب غربى السور حتى أصبح في حالة صالحة جداً للدفاع ويقال له نظراً لشكله (الحصن المثلث) . ولكنه أيد بالتيار التي اشتعلت في مستودع باروده قبل آخر عام ١٨٠١ م .

وتتصب أبراج هذا السور المشيدة حسب مستلزمات الحرب في الأزمنة الفائرة ، شاعخة فوق مبانيها التي أعدت لاقامتها عليها . وجميعها متتية بمائى بارزة عن قواعدها . وبهذه المائى شرفات بها كوى وثقوب بواسطتها يمكن منع من يريد الدنو من هذا السور . وكافة الأبراج التي في الخط الخارجى لها أبواب سرية أو أبواب للخروج تطل على الخنادق . وأغلب هذه الأبواب مرتفعة العتبات مترا أو مترين عن قاع الخنادق ويحجبها الآن سائر من البناء .

ويشاهد في صلب بناء حيطان السور وبالأخص في أساس أغلب الأبراج كثير من أعمدة الرخام والصوان مندمجة اندماجا أفقيا فيها ويرى أحد طرفها من الخارج . وبعض أجزاء وجهاً هذه الحيطان مطلية بالمرمر لوقاية جوانبها من تأثير رطوبة البحر الملح التي تحدثها أثناء الليل الكثيفة المنتشرة على ساحل مصر . ويعاين الانسان تأثير الرطوبة الشديد في الحجر الجيري

ويرى كيف تحلله هذه الرطوبة بدرجة كبيرة متى تأمل في حيطان
السور القرية من باب رشيد وفي الزاوية البارزة القائمة عنده .
وفي هذا السور خمسة أبواب منها اثنان في واجهة
المدينة الحديثة ، واحد في الشرق يسمى (باب رشيد) والآخر
في الجنوب يسمى (باب العمود) - عمود السوارى - . ثم
الباب الذى فى الغرب وهو الذى يطل من البرج المائل على
المرقا القديم (الميناء الغربية) . وهذا البرج هو آخر
الأبراج غرباً . وهذه الأبواب مفتوحة فى الأبراج الراكبة فوق
السور وفتحاتها تواريها من الخارج حيطان الأبراج . وتستخدم
هذه الأبواب للاستكشاف وللدفاع عن الحامية على النقط الذى تستخدم
فيه الأبواب السرية التى فى جوانب أبراج حصون فرنسا . ومصاريع
هذه الأبواب من التجار المثينة المصنوعة من خشب الجوز . ووجهاتها
الخارجية مكسوة بصفائح من الحديد مثبتة بمسامير ذات رؤوس
بارزة مشطوفة . ولكن هذا الحديد أكله الصدأ . أما خشبها
الذى انحلت قشوره قليلاً فهذا لم يزد على مرور الأيام وكروور
الأعوام إلا مائة . ويوجد على وجهات هذه الأبواب كتابة
عربية كوفية وغير كوفية منها يعلم زمن انشائها - ١٥

والحقيقة أن عدد الأبواب لا بد أن يكون ستة
لا خمسة لأنه كان يوجد فى الجنوب بابان لا باب واحد
كما قالوا . وما يؤسف له أشد الأسف أن الكتابة المنوه

عنها في هذا الوصف التي كانت على أبواب هذا السور لم تنقل مع أنها كانت تنبئنا على الأقل عن اسم منشئ هذه المباني العظيمة .

وعدا أبراج سور العرب المذكورة كان يوجد من الحصون عند مجيء الحملة الفرنسية قلعة فاروس أو قايتباي التي هي عبارة عن سور محصن على طراز العصر الذي بنيت فيه وتحتوي على برج مربع الشكل مشيد في أركانه أربعة أبراج صغيرة وبمأشيه شرقه فيها مصباح يضاء في الليل . وكان في غرف هذا البرج العليا أكداس من الأسلحة المختلفة تراكم فوقها الصدا وتدل عليها وأشكالها على أن بعضها من أسلحة الصليبيين والبعض الآخر من أسلحة حملة لويس السادس عشر المكتوبة ، كما كان يوجد حصن آخر يقال له طايية فاروس الصغيرة لوقوعه إزاء القلعة السابقة وهو الطايية المعروفة بطايية السلسلة الحالية . وهذه الطايية كانت مشيدة في نهاية خط الصخور التي هي نهاية الميناء الشرقية من جهة الشرق . وقد بنيت هذه الطايية للدفاع عن هذه الميناء . والصخور الموصلة لهذه الطايية الصغيرة مرتفعة عن منسوب ماء البحر ولكنها كانت تغمر به عند اشتداد الأنواء .

وعند قدوم الفرنسيين لم يكن يوجد من هذه الطايية الصغيرة إلا برج مربع الشكل متخرب به بعض أجزاء من مدافع برى الصدا حديدتها من جراء رطوبة البحر الملح التي حلت هذا

الحديد وصيرته شرائح ونفايات معدنية .

ثم كان يوجد في موضع مدرسة رأس التين الأميرية
الآن حصن ثالث يشرف على الميناء الغربية .

ولما احتل الفرنسيون المدينة شيدوا حصونا لحمايتها من
الاعتداء عليها من الخارج وهذا يانها :-

(١) - حصن كوم الدكة . وهو الحصن الباقي إلى الآن
وسموه حصن كريتان Fort Crétin تخليدا لذكرى المهندس الحربى
الفرنسى القائمقام كريتان الذى أشرف على بنائه ثم قتل في موقعة
أبي قير التى نشبت بين الفرنسيين والجنود التركية في ذلك الحين .

(٢) - حصن كوم الناطورة . وهو أيضا لايزال باقيا
إلى الآن . وسموه حصن كافاريللى Fort Cafarelli باسم الجنرال
الذى كان مشرفا على الأعمال الهندسية الحربية في جيشهم .
وهذا الجنرال قد إحدى ساقه قبل مجيئه إلى مصر واستعاض
عنها بساق خشبية فكناه المصريون بأبى خشبة ثم قتل في حصار عكا .

(٣) - حصن لوتورك Fort Leteruce وهو حصن
أقاموه غربى الحصن السابق على شاطئ البحر في الموضع الذى
به طاية صالح الحالية . ولوتورك اسم أحد قوادم .

(٤) - حصن كليوطره . وهو حصن شيدوه على المرتفعات

القائم عليها الآن المستشفى الاميرى وسموه بهذا الاسم لمجاورته
للسلة المسماة بمسلة كليوطره .

وقد أقاموا على هذه الحصون صفوفًا من المدافع
(بطاريات) فى المواضع الآتية :-

(١) - بطارية فى نهاية رأس التين فى الموضع الذى
صار فيها بعد طاية الفنار .

(٢) - بطارية فى شمال رأس التين فى الموضع الذى
صار فيها بعد طاية سراى رأس التين .

(٣) - بطارية فى موضع منهد (ميس) ضباط الحرس
الملكى الآن وكان فى موضعها قبل ذلك طاية الاسبالية .

(٤) - بطارية فى موضع طاية الأطله الحالية .

هذه هى كل المنشآت التى أقامها الفرنسيون على شواطئ
مدينة الاسكندرية وفى داخلها للدفاع عنها من عدو يهاجمها .
وللاحظ أنه فى مواضع البطاريات السالفة الذكر أقيمت
طوابى فيها بعد كما سبق .

٤ - فى حكم محمد على

عهد محمد على إلى جاليس بك تحصين مدينة الاسكندرية

وفي عام ١٨٤٠ م كانت حصونها وأسلحتها كما يؤخذ من رسوم الملازم نيوجت Nugent من رجال البحرية البريطانية كالآتي :-

الحصون	مدافع	اهوان	الجملة
١ - طاية السلسلة	٦	—	٦
٢ - د قبور اليهود	١٠	—	١٠
٣ - د كوم النكة	٦	٣	٩
٤ - د كوم الناطورة	١٢	٤	١٦
٥ - د قايتباي	٢٠	١٢	٣٢
٦ - د الأطة	١٠	١	١١
٧ - د سراي رأس التين	٤٦	١٧	٦٣
٨ - د قنار رأس التين	٢٣	١٠	٤٣
٩ - د صالح أفا	١٥	٣	١٨
١٠ - د أم قبيصة	٣٠	—	٣٠
١١ - د القمرية	١٠	٣	١٣
١٢ - د الملاحة القديمة	١٠	—	١٠
١٣ - د الملاحة الجديدة	٣٤	—	٣٤
١٤ - د الدخيلة	١٠	٣	١٣
١٥ - د جزيرة العجمي أو المرباط	٨	٣	١١
١٦ - د طوابي دائرة السور	٧٠	—	٧٠
الجملة العمومية	٣٣٠	٥٩	٣٨٩

وبعد سنة ١٨٤٠ م وفي أواخر حكم محمد علي زاد عدد هذه الحصون كما يؤخذ من القائمة المؤرخة بعام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) التي وضعها حسن باشا الاسكندراني ناظر البحرية المصرية الذي أدركته المنيّة سنة ١٨٥٥ م فغرق مع من غرق في سفينة القيادة (مفتاح جهاد) في حرب القرم التي اشترك فيها الأسطول المصري .

وهذه القائمة نقلها اسماعيل سرهنك باشا في كتابه (حقائق الأخبار عن دول البحار) ج ٢ ص ٢٥٩ . ومنها يتبين أن عدد هذه الحصون ومدافعها كان كالآتي :-

الجملة	أهوان	مدافع	الحصون
٦٣	٦	٥٧	١ - طاية الفنار
١	-	١	٢ - د الفنار الصغيرة
٧٣	١٢	٦١	٣ - د التراب
٢٣	١٠	١٣	٤ - د الاستبالية الجديدة
٢٥	-	٢٥	٥ - د الاستبالية القديمة
٦٤	٧	٥٧	٦ - د الأطاة
١١٦	٦	١١٠	٧ - د قلعة برج الظفر
١٢	٦	٦	٨ - د طاية ظهر منزل الفرنسيين
٨	-	٨	٩ - د المنحمة

(تابع) بيان الحصون ومدافعها

الجملة	أهوان	مدافع	الحصون
٩	-	٩	١٠٠- د مسلة فرعون
١٠	-	١٠	١١- د قبور اليهود القديمة
٢٠	-	٢٠	١٢- د قبور اليهود الجديدة
١٩	١	١٨	١٣- د برج السلسلة
٦	-	٦	١٤- د باب شرق
١١	١	١٠	١٥- د كوم الناطورة
٣	-	٣	١٦- د الدخيلة
٢٢	٢	٢٠	١٧- د السلية
٤٩	٩	٤٠	١٨- د المكس
١٠	١	٩	١٩- د القمرية
٦٠	٤	٥٦	٢٠- د أم قبيصة
١٥	١	١٤	٢١- د الملاحة القديمة
٣٥	١	٣٤	٢٢- د الملاحة الجديدة
١٣	-	١٣	٢٣- د صالح أفا
٨	-	٨	٢٤- د باب سدره
١١	٢	٩	٢٥- د كوم النكة
٦٨٦	٦٩	٦١٧	الجملة

وزيادة في بيان هذه الحصون ومواقعها قول :-

(١) و (٢) - طايئا الفئار والفئار الصغيرة . هما الآن عبارة عن الطايئة المعروفة بطايئة الفئار برأس التين .

(٣) طاية الزراب . هي الآن تشغل خط النار شمال سراى رأس التين ولهذا تسمى طاية سراى رأس التين .

(٤) و (٥) - طايئا الاستبالية القديمة والاستبالية الجديدة . تقعان الآن تجاه قشلاقات وميس ضباط الحرس الملكى فى المكان الذى كان قائما عليه هذان المستشفيان .

(٦) - طاية الألة . لاتزال فى موضعها كما كانت إلى الآن شرق حمام الأنفوشى وبها مركز لحفر سواحل قسم الاسكندرية والألة كلمة تركية معناها الجزيرة وهذه الطاية الآن تعرف عند الناس باسم طاية القضا .

(٧) - قلعة برج الظفر . هي فى رأينا الطاية المعروفة الآن بطاية قايتباى للأسباب الآتية :-

(أ) - تسمية كثيرين من المؤلفين لهذا البرج باسم قايتباى .

(ب) - عدم ذكر اسم حصن قايتباى فى قائمة حسن باشا الاسكندراني مع انه كان أمم حصون الاسكندرية كما يؤخذ من حالة تسليحه .

(ج) - يحىء هذا الحصن فى الذكر بعد طاية الألة

في قائمة حسن باشا الاسكندراني وكذلك في الوضع الجغرافي فانه فيه بعد هذا الحصن شرقا .

نعم كان يوجد بين موقع مسجد الامام البوصيري وسراى المحافظة القديمة على شاطئ البحر برج صغير كان معروفا بين الناس باسم البرج الزفر (برج الظفر) . وقد زال وبقيت آثاره منذ أن ردم ساحل البحر في هذه الجهة وأقيم بناء رصيف الميناء الشرقية الجديد فيجوز أن يكون برج الظفر هو هذا البرج الذي زال . وقلعة برج الظفر هي الطاية المعروفة بطاية قايتباى . ولايحيد عن أحد هذين الرأيين ، واهمال ذكر برج الظفر بهذا الاسم وحده في قائمة حسن باشا الاسكندراني يكون لانه أدمجه تحت اسم قلعة برج الظفر أو لانه لم يكن له أهمية حرية .

(٨) - طاية ظهر منزل الفرنسيين . كانت واقعة كما يدل على ذلك اسمها على البحر خلف قنصلية فرنسا القديمة التي كانت مشيدة محل ميدان سعد باشا زغلول الآن ودمرتها نيران الاسطول البريطانى سنة ١٨٨٢ م عند اطلاق قنابله على المدينة .

(٩) - طاية المنفعة . كانت قائمة على شاطئ البحر أيضا شرق الطاية السابقة عند نهاية شارع البورصة القديمة .

(١٠) - طاية مسلة فرعون . كانت كما يدل على ذلك اسمها قرب مسلة فرعون بجوار محطة الرمل الحالية .

(١١) و (١٢) - طابيتا قبور اليهود القديمة وقبور اليهود الجديدة . كانت أولاهما في موضع المستشفى الأميري الحالي . والثانية بين نهاية شارع يوسف عز الدين ورأس السلسلة .

(١٣) - طاية برج السلسلة - كانت تشغل الرأس الداخل في البحر الذي حولته البلدية الى متزه .

(١٤) - طاية باب شرق - كانت قائمة بالقرب من أحد أبواب سور المدينة وهو الباب المسمى بهذا الاسم والمسمى أيضاً ياب رشيد . وموقعها الآن في شارع فؤاد الأول عند ملتقى شارع السلطان حسين كامل بشارع بلجيكا .

(١٥) - طاية كوم الناطورة (الناضورة) - لا تزال باقية وفيها الآن مركز اشارات مصلحة الموانئ والمتائر .

(١٦) - طاية الدخيلة - كانت واقعة بين باب العرب وطاية الجمى .

(١٧) - طاية السلية - وهذه لا بد أن موقعها كان بين طابيتي الدخيلة والمكس .

(١٨) - طاية المكس - وهي قائمة الى الآن قرب باب العرب .

(١٩) - طاية القمرية - كانت واقعة شرق الطاية

السابقة في موضع مركز اشارات مصلحة الموانئ والمنائر .
(٢٠) - طاية أم قبية - كانت شرق طاية القمرية
المذكورة وبينها وبين طاية صالح أغا في موضع شواذر
الحشب الآن .

(٢١) و (٢٢) - طاييتا الملاحة القديمة والملاحة
الجديدة - هما على هذا الترتيب حصن اليسرى الصغرى واليسرى
الكبرى الحاليتان القائماتان بين طريق المكس وبحيرة مريوط
خلف المحطة القديمة التي كانت لخط سكة حديد مريوط ثم
تحولت الآن مدرسة للبنات (مدرسة المعلمات الوردانيات)
والحصن للشرق منها الذي هو طاية الملاحة القديمة مبين
بخرطة مصلحة المساحة باسم حصن الملاحة .

(٢٣) - طاية صالح أغا - لا تزال باقية الى الآن
ومعروفة باسم طاية صالح . وهي التي تقوم باطلاق المدافع
لتحية السفن الحربية القادمة الى الاسكندرية .

(٢٤) - طاية باب سدره - كان موقعها قرب أحد
أبواب سور العرب المعروف باب السدره وموقع هذا الباب
الآن بشارع الحديو الأول تجاه شارع عمود السوارى .

(٢٥) - طاية كوم الدكة أو كوم الدماس - لا تزال
باقية الى الآن في موقعها على الشارع المعروف بشارع نبي الله
دانيال . وهي مشهورة غنية عن التعريف .

٥ - في حكم ابراهيم باشا

قال علي باشا مبارك في خطه ج ٧ ص ٦٠ مافيه :

قد اشتغل ابراهيم باشا بمجرد استيلائه بأمور مهمة في اسكندرية وغيرها ذات منافع عمومية من ضمنها تكميل طوابى اسكندرية واستحكاماتها على الوجه الذى أسست عليه في عهد العزيز والده وشحنها بالسكر والأسلحة والآلات ومر بالساحل من اسكندرية الى رشيد ثم الى دمياط واستكشفه بنفسه - إلى أن قال - وأمر في ثغر اسكندرية بإنشاء مائتين وخمسين شلوبة طويلة كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ البوغازات والملاحات . وكان عازما على تخطيط سكة تبندى من الاسكندرية وتمر بناحية أبى قير وتستمر الى رشيد ليسهل السير على العساكر والمهمات عند الحاجة - إلى أن قال - لكن لم تمهله الأيام حتى يتم ما شرع فيه وما عزم عليه . اهـ

٦ - في حكم عباس الأول

وقال علي باشا مبارك أيضا في خطه ج ٧ ص ٦١ أثناء الكلام

على الاسكندرية في زمن المرحوم عباس باشا ما فقه :-

وكان لما وجه همة اليه زيادة على غيره تميم الاستحكامات والطوابى والقلاع طبق مارشمه رئيس هندسة الاستحكامات جاليس بك ووافقه عليه ذوو الدراية والخبرة وأقره الخديو . فأقام معظم حصونها وأضاف إليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخلها في النقط المهمة ، ومن

ذلك قلعة مقابر اليهود وقلعة أبي قير وقلعة العجمي مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها . فأنشأ في قلعة مقابر اليهود جبجخانة جسيمة تسع تسعة آلاف قطار من البارود وهي إلى الآن مستعملة في حفظ البارود . وعمل في قلعة أبي قير مخبزا وطواحين تدور بالهواء . واستبالية لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وما جاورها من القلاع فكانت العساكر المقيمة في تلك الجهات لا تحتاج لشيء يأتي من الخارج . ولم يزل ملتفتا إلى الاستحكامات والقلاع والحصون عازما على إتمامها فيلحق بها ما يلزم من الورش والبطاريات الطوبجية وقشلاقات العساكر المحافظين والاستباليات وغير ذلك حتى انتظم أكثر القلاع التي كان جده وعمه مهتمين بها . وبنيت ورشة للطوبجية في وسط المدينة في شرق المحل المعروف بكوم الناضورة طولها مائتا متر في مثلها عرضا مشتملة على جميع محلات التشغيل كمحلات النجارة والحداة والبرادة والسبك وغير ذلك كالمخازن . وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمال والمعلمين فصارت من أحسن ما يعمل من هذا القليل . وعمل بها عدة بطاريات يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ثم أبطلها المرحوم سعيد باشا وأمر ببيع أرضها للأهالي فبنيت منازل وغير ذلك ومن ضمنها الآن حمام هندي (حمام الورشة) وأنشئت القشلاقات داخل الطواحي . فمن ذلك قشلاق في طاية الآداء (الأطلة) لاقامة خبساءة عسكرية . وقشلاق في قلعة أم قبية كذلك . وقشلاق فوق باب الصوري المعروف بباب محرم بك لاقامة أورطة من العساكر .

ولما أنشئت سكة الحديد الواصلة إلى الرمل (١) مرت في وسط التشلاق
قسمته نصفين . والآن به عساكر محافظة الضبطية . وبنى الاستبالية
الملكية في حوش مقابر اليهود بجوار المسلة المعروفة بمسلة كليوباترة
ووقاها جميع لوازمها من مفروشات وملبوسات وأدوية وآلات وجعل
بها اجزخانة ويتا لتزريب الادوية ونوع محلاتها بحسب أنواع الأمراض
والعلل . ورتب لها حكما وجراحية نجاة من أحسن الاستباليات
وحصل بها النفع العام وصار يدخلها الأهالي والغرباء للتداوى بدون
مقابل واستمرت على ذلك حتى هدمتها سكة حديد الرمل أيضا . والآن
عمل من فيض المكارم الحديوية استبالية عوضاً عنها في محل قريب منها .
ولأجل الوقوف على ما اشتملت عليه الاراضى المجاورة لثغر الاسكندرية
أمر باستكشاف ما حوله حيث كان لذلك دخل في المحافظة فكشف
سواحل البحر من الاسكندرية الى العريش — إلى أن قال — واهتم
أيضا بكشف الصهاريج التي بداخل الاسكندرية وخارجها وما تشتمل
عليه وقدر ما تنبع من الماء والمجارى التي توصل الماء اليها وصار
التنبيه على أصحاب الاملاك ألا يتلفوا شيئا من ذلك ولا يتصرفوا فيه
وجعل لذلك قوانين معمولاً بها الى الآن وكانت قد بطلت مدة فتنشأ
عن بطلانها تصرف أصحاب الاملاك في كثير منها بالنقض والهدم .
وحيث كان الماء من أهم لوازم الميناء ولا يستغنى عنه زمنا ما

(١) هذا خطأ ظاهر ولعل صفة الكلام سكة حديد الخط الطويل الموصل الى القاهرة .

لأسيما لو فرض حصول محاصرة تقطع ماء المحمودية عن الثغر صدرت
أوامره السنية بدم التعرض للصاريح بوجه ما والرجوع الى تلك
القوانين فامتتع الناس من هدمها ولا يخفى أهمية ذلك فان تلك الصاريح
مبنية من قرون عديدة ولا شك أنها صرفت فيها أموال جسيمة
وهي من الآثار القديمة التي نوه التاريخ بقدرها وأهميتها بالنسبة لهذه
المدينة لبعدها عن النيل . والماء الواصل إليها من الخليج يمر في وسط بحائر
ملحة ومنحطة وفي أى وقت يمكن صرفه الى البرارى أو البحر وحرمان
المدينة منه فيقع أهلها في الضرر وتفرقها العارية مع أنها مفتاح القطر
فلم يكن أهم مما يوصل الى عماريتها وراحة أهلها . ومن ذلك كشف
المسالك الموصلة إليها ومعركة ما اشتملت عليه تلك الطرق مما هو من
لوازم الحياة كالمياه العذبة والمراعي وحطب الوقود وجلب الميرة ومنع
الاعداء . فكل ذلك معرفته مهمة في وقت السلم ليتفنع به عند حصول
ضده . فهذا هو ملاحظه رحمه الله وملحظ المؤسس الأصلي وملحظ
سر عسكر (ابراهيم باشا) جزاهم الله عن الوطن خيرا . ومن هنا
الاستكشاف ظهرت ثمرات جمة منها عمل سكة عسكرية من طاية
القبارى الى باب العرب لتسهيل مرور العساكر والواردين على المدينة
من جهة الغرب ووادى سيوة وكانوا قبل ذلك يقاسون مشقات زائدة
لعدم انتظام المسالك — إلى أن قال — وقد رسم ذلك كله في خرط
الاستحكامات حتى لا تطرق اليه شبهة فيما بعد — إلى أن قال — ولما
كثرت الافرنج والأغراب في مدينة الاسكندرية واستوطنوها

واستحوذوا على كثير من الفضاء الذى كان بداخل المدينة وضواحيها
رغبوا فى سكنى الرمل وهى قرية شرق المدينة بينها وبين أبى قير
وأكثرها من شراء الأملاك فى هذا المحل لقلة ثمن الارض هناك إذ ذاك
فبقيت الحكومة لذلك لما لتلك الجهات من الاهمية لوقوعها فى
المناطق العسكرية الممنوع البناء فيها فأمرت بضبط ما بيع من هذه
الأراضي ويان ما بنى وعالم بين منها ومنعت التصرف فى أراضي الرمل
وغيرها إلا بأذن من الحكومة وجعلت لذلك قوانين تتبع فى هذه
الأمر . وبسبب قرب الرمل من المدينة واتساعه وطيب هوائه رغب
المرحوم فى اتخاذ معسكرا تجتمع فيه العساكر فى المناورات وغيرها وأمر
بردم الملاحة المجاورة لقرية الرمل (ملاحة سيدى جابر - أرض
سموحة الآن) لمنع العفونة وعمل لذلك رسوم وميزانيات ولكن بموته
لم يتم ذلك . ٥١

٧ - فى حكم سعيد باشا

الظاهر أن تحصين مدينة الاسكندرية فى حكم سعيد باشا بقى على
ما كان عليه فى حكم سلفه عباس الاول .

٨ - فى حكم الخديو اسماعيل

عزز الخديو اسماعيل حصون هذه المدينة بمدافع أحدث
طرازاً من التى كانت بها حتى يجارى بذلك روح العصر الذى كان

فيه لأن مدافع عصر محمد على لم يكن بينها النوع المعروف بالششخانة الذى تحقق تفوقه على النوع القديم . فكان من اللازم التفكير فى تسليح هذه الحصون بهذا النوع مادام القصد من هذا التسليح ضمان سلامتها من غارة أجنبية .

لذلك ابتاع الخديو اسماعيل من انجلترا فيما بين سنة ١٨٦٩ و سنة ١٨٧٣ م ٢٠٠ مدفع من طراز أرمسترونج عيار ٧ بوصات ووزن ٧ أطنان وعيار ٨ بوصات ووزن ٩ أطنان وعيار ٩ بوصات ووزن ١٢ طناً وعيار ١٠ بوصات ووزن ١٨ طناً وهذه المدافع تعمر من الأمام . وابتاع أيضاً أربعة مدافع عيار ٤٠ رطلا من الطراز عينه ولكنها تعمر من الخلف . ونصب من هذه المدافع فى حصون مدينة الاسكندرية الأربعة المدافع الأخيرة و٤٦ مدفعاً من المدافع الأولى . والباقي من المائتين مدفع نصبه فى بقية حصون سواحل مصر حتى بور سعيد . ووقت تركيب هذه المدافع الحديثة نزع بعض المدافع القديمة وكانت التى نزع بالضرورة غير صالحة للاستعمال ولكن قواعدها استخدمت مداورٍ للدفاع الحديثة .

موازنة بين هذه الحصون والأسطول البريطاني

الحصون

إن ساحل مدينة الاسكندرية سهل منبسط ليس به مضاب ولا جبال اللهم إلا بعض التللول المصنوعة . وهو لهذا السبب الطيعى لا يصلح لاقامة حصون عليه تدفع عن هذه المدينة شر القنابل الحديثة سواء التى اخترعت فى أيامنا هذه والتي كانت فى سنة ١٨٨٢ م وقت أن ضربها الأسطول الانكليزى الذى كان مزوداً بمدافع أقوى من مدافع هذه الحصون .

وكان حصن أم قبية هو الحصن الوحيد المقام على تل مرتفع عن الأرض . وكانت حصون الاسكندرية فى سنة ١٨٨٢ م هى ذات الحصون التى كانت فى عهد محمد على مع فرق بسيط . وهو أنه لما سلحها الخديو اسماعيل بمدافع من طراز أرمسترونج رفع سائرهما وزاد فى سمكها وفتح فيها كوات جديدة تتناسب مع هذا التسليح الجديد . ولكن كل المدافع كانت منصوبة فى العراء بدون أن يعلاوها أية وقاية تقى العساكر الذين يطلقونها . وقد يحسوز أن يكون نصها بهذه الكيفية أخف ضرراً لو كانت هذه الحصون شيدت فوق مرتفعات لأن

علوها حيثئذ بالنسبة للضلع التي تضطر السفن الحربية أن تصوب منها مدافعها بمكن أن يتخذ وقاية كافية لحماية جنودها من أذى القنابل . ولكن نظراً لأن كل هذه الحصون تقريباً كانت قائمة على أرض منخفضة نشأ من ذلك أضرار بالغة لرجال مدفعتها الذين كانوا عرضة لآثار مدافع السفن وبالأخص لمدافع السربند المنصوبة على السورارى والتي بواسطتها في هذه الحالة بمكن إسكات مدافع هذه الحصون بقتل جنودها وبغير حاجة الى اتلاف هذه المدافع .

والحصن الوحيد الذى بمكن استثنائه من هذه الحالة هو حصن قايتباى الذى كان في طبقة السفلى المسقوفة مدفعية مستورة بطبقة العليا . ولكن جيطائه لم تكن من المانة بحالة تستطيع معها الاستهداف لمدافع هذا الأسطول . فقتلت وجرحت الشظايا التي كانت تتطاير منها كثيراً من الجنود فضلاً عما أحدثته من الضحايا والتلف للأهالى والمساكن حتى لقد قال القائد جودريتش Goodrich أحد قواد امريكا الحربيين في تقريره ص ٤٨ إن هذه الحرب لم تكن إلا دهليزا إلى مهاوى الموت السحيقة .

وقد كان هذا القائد على ظهر السفينة الحربية لانكاستر Lancaster وقت ضرب الاسكندرية وشاهد هذه الموقعة

وعاين هذه الحصون بنفسه بعد الضرب وتبع خطوات الجيش الانكليزي في جميع حركاته العسكرية من أولها الى ما بعد واقعة التل الكبير . وقدم تقريراً مفصلاً لحكومته بكل ما عاينه ورآه . ومن هذا التقرير استقيت معظم معلوماتي .

وكان في كل الحصون بدون استثناء مبان عديدة مرتفعة عن سائرهما مثل مستودعات القنابل والثكنات (القشلاقات) والمخازن . وكانت هذه المباني المرتفعة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتكون هدفاً عجيباً لا تخطئه نيران مدافع الأسطول . وكانت مستودعات البارود على الأخص غير مصونة الصيانة الكافية . ويؤيد ذلك انفجار مستودعي البارود في طابقي الأطلية والدخيلة . ومن العجائب أن مستودعي البارود في كلتا الطابقتين هما وحدهما اللذان أصيبا فانفجرا وتمزقا شر ممزق دون غيرها من المباني التي فيهما . والقنابل لم تكن على وجه العموم معبأة من قبل في مدافع هذه الحصون بل كانت تعبأ في خلال المعارك .

هذه هي الحالة التي كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية في سنة ١٨٨٢ م وقبلاً ضربها الأسطول الانكليزي . أما من حيث تسليح الحصون التي كانت في ساحل المدينة وكانت معرضة لمدافع الأسطول فكان كالآتي :-

الحصون	مدافع ارمسترونج ششخانة					١٠ مدافع غير ششخانة	اهوان	الجملة العمودية				
	تعمر من الامام		١٠ تعمر من الخلف	عيار								
	عيار			٧ برص	٨ برص				٩ برص	١٠ برص	رطلا ٤٠	
طاية السلسلة	-	١	١	-	-	٢	٢	٥				
قلعة قايتباي	-	٢	٣	١	٢	٨	٢٨	٥٠				
طاية الهلالية	-	-	-	-	-	-	٤	٤				
د الامة	-	١	٣	١	-	٥	١٤	٢٤				
د الاسبتالية	٢	-	-	-	-	٢	١٠	١٧				
د رأس التين	-	٢	٢	١	١	٦	٢١	٣٢				
د الفنار	-	١	٤	١	-	٦	٢٨	٣٧				
د صالح أغا	-	-	-	-	-	-	٢١	٢٢				
د برج رقم ١٥	-	-	-	-	-	-	٤	٤				
د أم قبية	-	٢	-	-	-	٢	١٦	٢١				
د التمرية	-	-	-	-	-	-	٥	٥				
د المكس	-	٣	١	١	١	٦	٣٦	٥٢				
د الدخيلة	-	-	-	-	-	-	٤	٤				
د المجى	١	-	٥	٣	-	٩	-	٩				
د المرباط	-	-	٣	-	-	٣	٢٦	٣٢				
الجملة	٣	١٢	٢٢	٨	٤	٤٩	٢٢٩	٣١٨				

وعدا المدافع السالف يانها تقل اثنا عشر مدفا من طراز
ارسترونج الذى يعمر من الامام (ششخانة) الى الحصون الآتية :-

مدفعان عيار ٩ بوصات ومدفعان عيار ١٠ بوصات
الى طاية المكس .

وثلاثة مدافع عيار ٩ بوصات الى طاية الدخيلة .

ومدفعان عيار ٧ بوصات ومدفعان عيار ٨ بوصات
ومدفع عيار ١٠ بوصات الى حصن المراط .

ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها فى هذه الحصون ولا
أمكن استعمالها فى ضرب الأسطول الانكليزى .

ويجب حذف المدافع التى من غير نوع الششخانة وكذلك
الأمهوان من قائمة المدافع المذكورة قبل لأنها لم يكن لها فى الواقع
أية قيمة حربية فى زمن ضرب مدينة الاسكندرية إذ كانت قطعاً
عتيقة يرجع تاريخها إلى عهد محمد على وكان مرماها قصيرا وليس
لمفوضاتها القوة اللازمة لاختراق مدرعات الأسطول البريطانى لأن القنبلة
بعد أن تحتاز المسافة التى تحتفظ فيها بسرعتها تستمر فى السير ولكن
مع ضعف فى هذه السرعة . فاذا وصلت إلى الهدف عند ضعف سرعتها
لا تحدث ضررا يذكر لحصم قوى فى منزلة هذه المدرعات .

ولا يمكننى أن أقدم برهانا على صحة ما ذكرت أسطع بماوقع

لسفينة القيادة فى هذا الأسطول (الكسندرا Alexandra) .

قد أصيبت هذه السفينة بستين قنبلة فكانت نتيجة هذه الأصابات قتل جندي واحد وجرح ثلاثة . فلو أن هذه القنابل الستين كان لها تأثير حقيقى لأغرقتها .

ومن ناحية أخرى كانت عجلات هذه المدافع فى حالة سيئة فبعضها تحطم عند انطلاق المدافع وبعضها انقلبت من فوقها المدافع عند رجوعها على أثر انطلاقها .

ويجب أيضا حذف المدافع الأربعة التى من طراز ارمسترونج وتعمر من الخلف لأن عيارها صغير جدا بحيث لا يستطيع أن تعمل عملا جيدا ضد هذه المدرعات .

الأسطول

كان الأسطول الانجليزى الذى ضرب مدينة الاسكندرية بقيادة الأميرال سيمور Seymour مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة هى : الكسندرا Alexandra وهى سفينة الأميرال . والافتلكسيل Inflexible . والسلطان Sultan . والسورب Superb . والتمرر Témeraire . والافتنسيل Invincible . ومونارك Monarch . وبنلوب Penelope . وخمس سفن صغيرة (مدفيعات) وهى : بترن Bittern . وكوندور Condor . ويكن Beacon . وسينت Cygnet . ودكوى Decoy .

وسأحذف عند ذكر مدافع هذا الأسطول المدافع التى عيارها

يقبل عن عيار مدافع الحصون وكذلك مدافع السفن الصغيرة (المدفعية). وذلك في مقابل المدافع الثقيلة والأهوان التي حظتها من الحصون. وهذا الخلف في صالح الاسطول على ما أرى.

وقد كانت كافة المدافع المسلح بها هذا الاسطول من طراز ارمسترونج وتعمر من فوهاها مثل مدافع الحصون التي من نوعها (الششخانة). وهاك تقسيمها على مختلف المدرعات المذكورة:-

الجملة	المدافع						المدركات
	العيار						
مدافع	بوصه ٧	بوصه ٨	بوصه ٩	بوصه ١٠	بوصه ١٢	بوصه ١٦	
١٢	-	-	-	١٠	٢	-	الكسترا
٤	-	-	-	-	-	٤	افلكسيل
١٢	-	-	٤	٨	-	-	سلطان
١٦	-	-	-	١٦	-	-	سوبر
٨	-	-	-	٤	٤	-	تمير
١٠	-	-	١٠	-	-	-	افنسيل
٧	١	-	٢	-	٤	-	مونارك
٨	-	٨	-	-	-	-	بنلوب
٧٧	١	٨	١٦	٣٨	١٠	٤	الجملة

وكان وزن المدافع عيار ١٦ بوصة ٨٠ طنا وتقذف قتائل
وزن الواحدة منها ١٧٠٠ رطل (٦١٢ أنة أو ٧٦٥ كيلو جرام).

الموازنة بين السلاحين

والآن أباهر معالجة الموازنة بين سلاح الحصون وسلاح
الأسطول لأين تفوق الثاني التفوق العظيم على الأول بالعبار
وبالوزن فأقول :-

لقد كانت مدافع الحصون ذات العبارة الواسع حسب
القائمة التي سبق تدوينها كما يأتي :-

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالاطنان
٣	٧	٧	٢١	٢١
١٢	٨	٩	٩٦	١٠٨
٢٢	٩	١٢	١٩٨	١٠٨
٨	١٠	١٨	٨٠	١٤٤
٤٥			٣٩٥	٣٨١

أما مدافع الأسطول فكانت كما ذكر آتفا كالآتي :-

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالاطنان
١	٧	٧	٧	٧
٨	٨	٩	٦٤	٧٢
١٦	٩	١٢	١٤٤	١٩٢
٣٨	١٠	١٨	٣٨٠	٦٨٤
١٠	١٢	٢٥	١٢٠	٢٥٠
٤	١٦	٨٠	٦٤	٣٢٠
٧٧			٧٧٩	١٥٢٥

فالأسطول كان يمتاز امتيازاً كبيراً على الحصون كما يعلم من المقارنة بين هذه الأرقام . ويكون هذا الامتياز أشد ظهوراً لو نظرنا بعين الاعتبار إلى حالة طائفتي السلسلة والعجمي . فحسن العجمي لم يكن قد تم إنشاءه فلم يشترك في القتال . وكذلك لم تشترك فيه مدافع الحصون الأخرى التي لم تكن منصوبة في اتجاه الأسطول . وهذا الامتياز يتعاضد ويزداد ظهوراً بسبب سرعة تحريك الأسطول واستطاعته أن يحشد بوارجه ويصوب جميع نيرانها على حصن واحد فيقوضه ويدمره بدون أن يستطيع حصن آخر أن ينجده . وهكذا يهاجم الأسطول حصناً بعد آخر فيصيبها التلف جميعاً . وهذا ماحدث فعلاً

وهذه هي الحركات البحرية الحرية التي نوحاها هذا الاسطول في ذلك اليوم الانكسار المشهور .

وكانت حامية الحصون مؤلفة من ١ جى طوبجية سواحل وبحر قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضابط وجنديا . وهذا الاى هو الذى كان في ذلك اليوم الرهيب مع عيوب هذه الحصون ونقصها والتفاوت بين القوتين المتحاربتين وضالة معداته يدافع بروحه ودمه عن شرف الجيش والعلم المصرى بشجاعة تلى قدره وترفع رأسه .
لحم الله أولئك الأبطال الذين راحوا ضحية الدفاع عن الأوطان وتقدم بوسع رحمة ورضوانه .

الحوادث التي سبقت الضرب

شرح الأميرال سيمور من أول يولي سنة ١٨٨٢ م يتحل سيا من الأسباب مقبولا أو غير مقبول معقولا أو غير معقول ليتذرع به إلى فتح باب الشر والعدوان حتى يحقق مطامع دولته في مصر تلك المطامع التي كانت تعمل لها انجلترا منذ زمن بعيد .

ويقال أيضا إن هذا الأميرال كان لديه سبب شخصي يدفعه إلى الإسراع في مباشرة الأعمال الحربية على قدر ما يستطيع . ذلك أن أسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالانطلاق إلى البحر الأبيض المتوسط لينضم إلى أسطول الأميرال سيمور ويعاونه في ضرب قلاع الاسكندرية . وقد كان الأميرال دويل Dowell قائد أسطول

بحر المانش أرقى منصبا من الاميرال سيمور فاذا انضم اليه بأسطوله كانت له الرئاسة قطعا وآل إليه دون سيمور شرف الانتصار إذا أحرزه في ذلك اليوم .

هذا هو السبب في تعجل الاميرال سيمور وخطفه للأسباب ولولم يكن لها وجود .

وإني أسوق هنا بعض المكاتبات الرسمية التي دونتها الحكومة الانكليزية في الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م وهي :

(١)

برقية من الاميرال سيمور إلى مجلس الاميرالية البريطانية

الاسكندرية في أول يولي سنة ١٨٨٢ الساعة ٧¼ صباحا

لقد شوهدت مراكب مشحونة بالمواد المفرقة على مسافة قليلة من الجسر (قناة السويس) وفي هذا الموضع معسكر كبير من البدو . ومعسكر الزقازيق تلقى أوامر بمحشد ٣٠ ألف رجل مزودين بالفؤوس والزنايل (يعني أن التية معقودة على سد قناة السويس) . وتلفت الأهالي تعليمات أن يتزودوا بالأسلحة . وفي الاسكندرية وحصونها مايربو على عشرة آلاف جندي . والامداد والعساكر الاحتياطية نرد إليها بلا انقطاع . ويقول عرابي إن النبي يزوره كل ليلة ويأمل أن تقع الاساطيل المتحدة في فسخ ينصبه ذلك أن يغرق مراكب محملة بالاحجار في البوغاز . ٩

(٢)

برقية من مستر كارتررايت Cartwright قنصل جنرال انجلترا
الى لورد جرافيل وزير خارجيتها

الاسكندرية في ٢ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخباركم أن مجلس النظار قرر فى جلسته التى عقدها
أمس أنه نظرا لما شوهد من اتخاذ بعض استعدادات فى البوارج
الحرية أضخى من الواجب رفع عريضة إلى السلطان يلمس فيها
الترخيص بتعمير الحصون التى كان أوقف العمل فيها بأمر شاهانى ؟

(٣)

برقية من مجلس الأميرالية الانكليزية للأميرال سيمور

الأميرالية فى ٣ يولييه سنة ١٨٨٢

امنوا كل محاولة يراد بها غلق مدخل البوغاز الموصل للبناء .
ولذا بوشر إعادة العمل فى الحصون أو نصبت فيها مدافع جديدة
فأخبروا قائدها الحربى بأن لديكم أوامر بالحيولة دون ذلك . وإذا لم
يوقف العمل فى الحال فدمروا الحصون وأسكتوا مدافعها إذا أطلقت
النيران . وهذا بعد أن تعطوا الأهالى والسفن التجارية والحرية
الأجنبية الملهة الكافية ؟

(٤)

برقية من الأميرال سيمور إلى مجلس الاميرالية البريطانية

الاسكندرية في ٤ يولييه سنة ١٨٨٢

نصب مدفعان جديدان في قصر فاروس (قلعة قايتباي) في
الليلة الماضية . وقوى ساطعه المواجه للبحر أيضا . ويفضل الفصل
الجنرال أن أوجل توجه الانذار إلى صباح يوم الخميس لكي يجد
الاوربيون فرصة للهجرة من القاهرة . ولم يحدث أى تغيير في الوجبات
المشقة على البحر . وطلب الأميرال الفرنسى استعلامات فوردت له
الاجابة من القائد الحربى ومن عرابى اللذين أرسلنا الأميرال المصرى
ليؤكد أنه ليس هنالك فكرة بعمل سد ما فى مدخل البوعاز ؟

° ° °

وفى ٥ يولييه سنة ١٨٨٢ أخبر مسيو فريسنيه Freycinet رئيس
مجلس وزراء فرنسا لورد ليونز Lyons سفير انجلترا فى باريس وهذا
بدوره بلغ لورد جرافيل Granville أنه ورد إليه فى الصباح بريقة
من الأميرال كونراد Conrad قائد الأسطول الفرنسى بالاسكندرية
عن التعليمات التى تلقاها الأميرال سيمور من أجل النيات
التي نسبت للحكومة المصرية وقيل عنها انها موجبة ضد الأسطولين
الفرنسى والانجليزى . ثم قال الوزير الفرنسى للسفير الانكليزى
إنه جمع مجلس الوزراء لبحث المسألة فقرر أن الحكومة الفرنسية
لاستطيع أن تعطى تعليمات للأميرال كونراد أن يكون مع الأميرال

سيمور وأن يمنع بالقوة بناء الحصون أو نصب المدافع في ميناء الاسكندرية .

واستطرد مسيو فريسنيه فقال إن الحكومة الفرنسية تعد التصرف بهذه الكيفية عملا عدائيا هجوميا ضد مصر والاشتراك فيه لا يمكن أن يكون بدون اخلال بنص الدستور الذى يحظر الدخول فى حرب بدون موافقة مجلس النواب والشيخ . وإنه بناء على ذلك قد أرسل إلى الأميرال كوزراد تعليمات تقضى عليه ألا ينضم إلى الأميرال سيمور إذا وجه هذا انذارا نهائيا للمصريين يختص بتحسيناتهم وأن يراجع إذا صمم الأميرال سيمور على اطلاق المدافع . ١٠

وبذلك أصبحت انجلترا مطلقة الدين وحدها أمام مصر . وهذا الموقف هو الذى كانت تتوق إليه انجلترا لتنفيذ مقاصدها والحصول على بنيتها التى طالما تمنتها من أزمان بعيدة وقد مهد المصريون لها مع الأسف طريق الوصول إلى أمنيتها هذه بخرقهم ونزقهم وسوء تصرفهم .

(٥)

برقية من مستر كلترايت إلى لورد جرافيل

الاسكندرية فى ٥ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخبار سعادتكم أن وكيل نظارة البحرية (المصرية)

توجه أمس بعد الظهر للأميرال سير بوشامب سيمور Beauchamp Seymour وقدم له تقريراً مطمئناً من جهة وضع العواتق في مدخل ميناء الاسكندرية وبعد ذلك بقليل تلقى الأميرال إجابة بالكتابة من قومندان الحامية وفيما يلي نصها :

« تلقى الحديو صباح اليوم رسالة برقية من السلطان تعلنه بأنه هو ووزرائه مسئولون إذا لم نوقف الأعمال في الحصون لأن أعمالا كهذه ندعو الأسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية . وسيجتمع مجلس الوزراء في هذا الصباح لابلاغه هذا الأمر العالى للعمل بمقتضاه . »

(٦)

برقية من الأميرال سيمور إلى الأميرالية البريطانية

الاسكندرية في ٦ يولييه سنة ١٨٨٢

لقد أكد لي القائد العسكري ردا على مذكرتي المؤرخة بتاريخ اليوم بأنه لم يوضع أى مدفع جديد في الحصون ولم ينجز عمل ما . وصادق درويش باشا على صحة هذا التصريح . ولم تحدث أية إشارة تدل على القيام بأعمال جديدة من بعد ظهر أمس . ويجوز أن ذلك إنما كان امتثالا لأمر السلطان . وانى لا أتردد في الضرب إذا واصلوا هذه الأعمال . وقد تلقى الأميرال الفرنسى الأوامر بالتراجع هو وبورجه إذا بدى بالعدوان ؟

وفي ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ وجه قناصل الدول الكبرى الجزائرية
بالاسكندرية إلى الأميرال سيمور المذكرة الاجماعية الآتية :-

(٧)

الاسكندرية في ٧ يولييه سنة ١٨٨٢

إن وفرة مصالح رعايانا الكثيرى العدد بالاسكندرية الآن
والذين لهم أملاك جسيمة جداً تضطرنا أن نستعلم من جنابكم عما إذا
كنتم تعتبرون إجابة الحكومة المصرية الخاصة بالتحصينات مرضية .

ونحن نرى أنه في مقدورنا أن نحصل على تأكيدات منها
ترضيكم الرضاء التام إذا كان لم يزل يراى لكم أن الإجابة المذكورة
غير وافية . وستصيروتا شاكرين غاية الشكر إذا عرضونا أن هذه
المسألة قد سويت وانتهت . أما إذا كان الأمر على نقيض ذلك
فأفيدونا عن نعتد عليه في ترجيل رعايانا . وعلى أى حال لا يمكن
أن يتم ضرب الاسكندرية بدون أن يجر أخطاراً جمة على المسيحيين
والأهالى معا ولا بدون تدمير مالا يحصى من أملاك الأوروبيين .
وستقبل بمزبد السرور تكرمكم برفع هذه الملاحظة إلى حكومتكم قبل
أن تتفقدوا أوامرنا التي صدرت بشأن هذه المسألة .

الامضات

دى فورجس . بارون سورما . دى مارتينو

دى لكس . بارون كسجك

وفي ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ أجاب الأميرال سيمور على هذه
المذكرة الاجماعية بالخطاب الآتى :-

(٨)

من ظهر المدرعة افشيسيل باسكندرية ٨٢/٧/٧

سادق .

اتشرف باخباركم بوصول مذكرتكم الاجماعية التي
بمتم بها الى اليوم تسألوتنى فيها عما إذا كنت مرتاحا من اجابة القائد
العسكرى على خطابى الذى أرسلته اليه أمس . وانى أشكركم كثيرا
على ما عرضتموه على من الحصول من القائد العسكرى على اجابة
مرضية اذا كنت أرغب فى تأكيدات منه أوفى من الأولى كما أرجو
أن تتقبلوا وافر شكرى على الاقتراح الذى تطفنم بتقديمه الى .

فاذا كان نفوذكم لدى القائد العسكرى يمكن أن يحمله على
التصرف باخلاص وبمحول دون استمراره فى أعمال التحصينات فانكم
بذلك تصيرون الهدف المقصود . لأن التأكيدات المكتوبة منها تكن
عباراتها ، قليلة القيمة بالنسبة للمصالح التي أوتمنت عليها .

ويلزمنى أن ابين لكم أنى لا أنوى ولا قلت مطلقا انى أقصد
أن أضرب مدينة الاسكندرية فان أعمال الحربية إذا أمت ضرورية
فستوجه الى الحصون ولا أرى سببا للخوف من وقوع تلف
يصيب الأملاك الحصوية التي أنتم من أجلها فى وجل . وسأبلغ
حكومة جلالة الملكة الملاحظة التي لقم نظرى اليها فى الفقرة الأخيرة

من خطابكم . ويجب أن أحرص مع التدقيق على نص بلاغى الذى أرسلته الى القائد الحربى حينما تحدث أدنى محاولة يقصد بها العودة إلى أعمال دفاعية .

وعلى أى حال فسيعطى انذار نهائى مدته ٢٤ ساعة
قط . واتشرف الخ . ٩٠

بوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القيادة

ويرى من مذكرة التفاصيل الجنزالية السالفة أنهم بذلوا كل جهودهم فى سبيل تجنب وقوع الحرب وهذا أمر يستوجب لهم الشكر كما يرى أيضا من إجابة الأميرال التصلب ليد الباب أمام كل تسوية يمكن الاهتداء اليها . لأنه فى اليوم نفسه أرسل بلاغا إلى القائد الحربى هذه صورته :-

(٩)

من ظهر البارجة ائتشيل فى ٧ يوله سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

أتشرف باخباركم انى علت من طريق رسمى أن مدفعين جديدين نصبأ أمس فى خطوط الدفاع المشرقة على البحر وأن بعض استعدادات حرية على وشك التجاز فى واجهة الاسكندرية الشمالية الغرض منها تهديد الاسطول الذى تحت قيادتى . فيجب على والحالة هذه أن اعلتكم انكم ان لم تأمروا بالاقلاع عن هذه الاعمال

أو تكونوا قد أستمتم بالاقلاع عنها يكن من واجبي ضرب
الحصون الجارى فيها البناء .

واتشرف بأن أكون الخ . ٩

بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القيادة

وأرسل اللواء طلبة عصمت باشا القائد الحربى الاجابة الآتى نصها :-

(١٠)

الاسكندرية فى ٢٠ شعبان سنة ١٢٩٩ - ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م :-

عزيزى الاميرال الانجليزى .

أتشرف بأن انبتم بوصول خطابكم المؤرخ يوم ٦ يوليه الذى
تذكرون فيه انه اتصل بكم تركيب مدفعين وأن اعمالا أخرى على
وشك أن تقام على شاطئ البحر . فردا على ذلك أريد أن أؤكد لكم
أن الأخبار المذكورة عارية عن الصحة وأن هذه الأخبار مثل خبر
التهديد بسد مدخل البوغاز الذى اتصل بكم وتحققم كذبه .

هذا وأناى لوائى من شريف عواطفكم المتشعبة بروح الانسانية .
وأرجو قبول احتراماتى ٩

الامضاء
طلبة عصمت
قائد القسوة

وأرسل الخديو توفيق إلى الباب العالى فى ٧ يوليه

سنة ١٨٨٢ م البرقية الآتى نصها :-

(١١)

الاسكندرية في ٧ يولييه سنة ١٨٨٢ .

من اليوم الذى انقطعت فيه الاعمال حسب أمر جلالة
السلطان لم تقم بأى عمل إلى الآن . وقد أذيعت اشاعة مضمونها
أن الحكومة تنوى سد مدخل ميناء الاسكندرية وانها تتخذ غير ذلك
من التدابير الحربية . وقد توجه قنصلا إنجلترا وفرنسا الى راغب باشا
للقوف على الحالة منه فأكد لها أن هذه اشاعات ليس لها أدنى
نصيب من الصحة وان فكرة هذه التدابير لم تخطر بالبال . وبما أن
ميناء الاسكندرية مزودة بالبوارج الحربية فهذه الحالة تخول لكل
بارجة من هذه البوارج حجز كل سفينة تحمل مدافع . وقد أخطر
رئيس النظر ناظر البحرية بذلك ، فخرج القنصلان راضين من هذا
اليان . وفي الوقت نفسه كتب الاميرال الى قائد الجنود بالاسكندرية
خطابا صرح فيه بأنه مادامت الثنية معقودة على سد الميناء فيلزمه هو
أيضا أن يتخذ احتياطات لوقاية نفسه . فأجابه القائد بأن هذا الخبر
ليس له صحة . وذهب بعد ذلك ناظر البحرية وأكد للأميرال الانجليزى
هذه التأكيدات فشكره ووعد أن يخبر بذلك حكومته ؟ الامضاء
محمد توفيق

* * *

ولكن كل هذه التصريحات السلبية المطمئة لم تكف الاميرال
سيمور وصمم تصميا نهائيا على ضرب قلاع المدينة بقنابل اسطوله
متنحرا بالأسباب التى سبق ذكرها وأرسل البرقية الآتية :-

(١٢)

برقية من الأميرال سيمور الى الاميرالية الانجليزية .

الاسكندرية في ٩ يولي سنة ١٨٨٢

ايما الى برقيتي المؤرخة في يوم ٤ يولي سنة ١٨٨٢ أقول
انه ليس هنالك أدنى ريب فيما يتعلق بالتسليح . واني سأخطر قناصل
البلد الاجنبية غدا عند شروق الشمس وأشرع في الضرب بعد ٢٤ ساعة
ان لم تسلم الى الحصون القائمة على البوغاز والتي تشرف على مدخل الميناء .

* * *

وعزز مستر كارترايت هذه البرقية بالبرقية الآتية :-

(١٣)

برقية من مستر كارترايت الى وزير الخارجية البريطانية .

من ظهر البارجة هليكون Helicon بالاسكندرية في ٩ يولي سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

اقشرف باخباركم انه اتصل بالاميرال سير بوشامپ سيمور
ان مدفعين جديدين نصب صباح اليوم بمحس السلسلة القائم تجاه
الميناء الجديدة .

ولا يستطيع الأميرال أن يلازم الصمت حيال هذا العمل
العدائي فقرر أن يطلق النار عند شروق شمس يوم الثلاثاء ١١ الجاري .
ولقد أخطرت في هذا المساء القناصل الجزائرية والحدوير

ودرويش باشا . وسأعمل الترتيبات اللازمة لترحيل جميع الرعايا
البريطانيين على البواخر في هذا المساء أو غدا صباحا .

ويؤخذ من شهادة الضابط الذي نقل الخبر الى الأميرال أن
المدفعين المذكورين كانا من الطراز القديم أى انهما لم يكونا من نوع
الشخانة بل كانا من المدافع المساء التى ليس لقنابلها قوة لاصابة المرمى
البعيد حتى تصيب هذه البوارج وتخترق دروعها فتحدث الضرر لهذه
السفن . وحصن السلسلة هذا من ناحية أخرى واقع خارج منطقة القتال
ولذلك فانه عندما حشدت سفن الأسطول عصر يوم الضرب لاطلاق
قنابلها على حصن قايتباى لم تعر حصن السلسلة أدنى التفات مع انه
صوب اليها بعض القنابل . فقدر الأميرال كان فى غير محله .

ويقول احمد شفيق باشا فى مذكراته ص ١٦٣ أن مستر
كلر ترايت أشار على الخديو توفيق أن ينزل هو وأسرته إلى احدى
البوارج الانجليزية ليكون فى مأمن مما عساه أن يصيب سراى
رأس التين لأنها عرضة لقذائف المدرعات فأبى . وهذه المشورة
لم تدون فى الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م غير أنه يؤخذ من
رسالة برقية مرسله من مستر كلر ترايت الى لورد جراشيل فى ٧ يوليه
سنة ١٨٨٢ م أن هذا الأمر حدث فعلا . واليك نص هذه الرسالة :-

(١٤)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ .

أنتشف باخبار سعادتك أن سمو الخديو أرسل فى طلب سير

اوكلاند كلفن Auckland Colvin في ضحوة هذا اليوم ليعرض عليه خطة السير التي ينوى سموه اتخاذها في هذه الظروف .

فلقد نوى سموه في الحالة التي يستقر فيها الرأي على الضرب أن يبقى في الديار المصرية . وهو يقول في تعليل ذلك انه لا يستطيع أن يترك جميع أولئك الذين ظلوا في معيته وأولوه في غضون هذه الفتنة لإخلاصهم ، كما أنه من جهة أخرى لا يستطيع أن يهجر مصر إذا أغارت عليها دولة أجنبية إذ يقال حينئذ انه بارحها لينجو بنفسه . أما إذا احتلت الترك مصر وصادف هذا الاحتلال مقاومة فان سموه ودرويش باشا يلمان الجيش عندئذ بأنهما بصفتها من رعايا السلطان المخلصين لجلالته لا يكونان قد أدبا واجبها إذا عضدا هذه المقاومة . وفي هذه الحالة ينطلقان بأحسن الوسائل الممكنة الى يخت درویش باشا . وأعرب سموه عن نيته في الانصراف هو ودرويش باشا الى أحد القصور القائمة على شاطئ المحمودية اذا كان الضرب من جانب الأسطول الانجليزي وانه بقدر الاسراع في انجاز الضرب يقل الخطر الذي يحيق بشخص الخديو .

وكان سموه أثناء هذه المقابلة رابط الجأش يتكلم بصوت هادى واختتم الحديث بتوجيه الرجاء الى سير أوكلاند أن يبلغ قراره هذا الى سعادتكم .

ولقد عفت العزم على أن أخبر درویش باشا انه في حالة حدوث ضرب تلقي حكومة صاحبة الجلالة البريطانية عليه مسئولية

سلامة الخديو الشخصية وأمنه .

ولى الشرف . الخ .. ٩
الامضاء
كارتر ايت

وفي اليوم التالى ورد الى مستر كارتر ايت من لورد جرافيل
الرد بالبرقية الآتية :-

(١٥)

وزارة الخارجية البريطانية فى ٨ يولى سنة ١٨٨٢
تصادق حكومة صاحبة الجلالة البريطانية على البلاغ الذى
أخبرتونا عنه يرفقكم أمس التى ذكرتم فيها أنكم تتوون عندما تدعو
الحالة لضرب الحصون أن تلقوا على عاتق درويش باشا مسئولة
أمن الخديو وسلامته .
وانا لكم . الخ ...
الامضاء
جرافيل

* * *

ومن المرجح أن المشورة التى عرضت على الخديو بضيافته
على ظهر سفينة حرية انكليزية كانت لغرض سياسى لالئى آخر .
لأن وجود حاكم البلد فى احدى سفنهم يجعل لضربهم صبغة
شرعية كما حدث بعد ذلك فى حركاتهم العسكرية التى افضت الى
احتلال البلاد .

وعلى كل حال فاجابة الخديو تشرفه ، ولكن بما يؤسف له
أنه لم يتبع هذه الخطة معهم الى النهاية .

وأرسل مستر كارترائت الى قناصل النول الجنرالية وفقاً للبرقية
التي بعث بها الى لورد جرايفيل المذكورة الآتية :-

(١٦)

الاسكندرية في ٩ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى

أتشرف باخباركم أنه من المرغوب فيه إعلان كافة الأشخاص
التابعين لحكومتم بأن يكونوا في البواخر الراسية في الميناء في مدة ٢٤
ساعة تمر من تاريخ هذا الإعلان ٩

وكتب أيضاً مستر كارترائت الى درويش باشا الخطاب الآتى :-

(١٧)

الاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

الى صاحب السعادة

بناء على بلاغ الاميرال سير بوشامپ سيمور الذى وجهه الى
قائد الاسكندرية الحربى في صباح هذا اليوم أراى بصفتى وكيل وقنصل
جنرال حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بالنيابة ، مضطراً الى أن
أخلى وكالة جلاتها بالاسكندرية وأن أقطع مؤقلاً العلائق التى كانت الى
الآن بينى وبين نظارة الخارجية المصرية .

ثم أخبركم بأتى مكلف بأن أعلن سعادتم بالضرورة الماسة
لكفالة سلامة سمو الخديو فى كل الظروف ، وان حكومة جلاله الملكة
تأمل من سعادتم أن تشملوا وقاية سموه وأسرته بكل أنواع

الاحتياطات التي تستدعيها الأحوال باستعمال تفوذكم المستمد من نيابتكم عن جلالة السلطان . وانكم تعلمون ان سموه لا ينكص أمام الأخطار الجسيمة التي يعرضه لها موقفه الحال بسبب تحمله أوفر نصيب مما تفرضه عليه الواجبات . فحكومة صاحبة الجلالة البريطانية كلفتني أن أعلم دولتكم بأن عليكم — بحسب رأيها — مسئولية وقاية سموه من كل خطر ودرء الأخطار التي يمكن أن تحيط بسموه في أثناء هذه الحوادث ؟

فأجابه ديويش باشا بالجواب الآتي :-

(١٨)

الاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

عزيزي نائب القنصل الجنرال

تسلت خطابكم المؤرخ في ١٠ الجاري الذي شرفتموني بإرساله إلى ويمكنني أن أؤكد لكم أني بذلت كل جهدي في القيام بالمهمة التي تفضل جلالة السلطان وعهد بها إلى .

ولقد عز عليّ أن أدرك السبب الذي من أجله انساق الأسطول الانكليزي لجأفة منذ أمس الى ابداء هذه النيات العدوانية بعد أن لبث مدة مدينة ملقياً مراسيه في ميناء الاسكندرية لم يظهر في خلالها إلا اميالا سلبية .

إن العلائق الودية بين السلطنة العثمانية وبريطانيا العظمى مازالت باقية . وحيث إن مصر هي إحدى ولايات السلطنة فكان

في استطاعة جناب الأميرال أن يعرض أولاً وجوه شكايته التي استوجبت التدابير التي اتخذها ، بطريقة ودبة . وكان في الامكان مراجعتها والنظر في وسيلة للملافة الشر . ومتى ظهر مرتكبو الأعمال التي أوجبت الشكوى يكن في الاستطاعة إزال العقاب بهم .

ويبدو لي اننا لو تصرفنا بهذه الطريقة لكان الامر قد آل إلى توطيد العلاقات الودية بين المملكتين عوضاً عن الانسياق في تيار العدوان .

ولقد أتاحت الفرصة لسعادة راغب باشا ولوكيل نظارة البحرية ان يؤكد لكم وللأميرال أنه لم يخطر يال الحكومة المصرية أن تعمل أى عمل يكدر صفو هذه العلاقات الحسنة .

ومن المهم البحث عن قمع عليه المسؤولية اذا كان جواب تصريحات حكومة منشعة بزوح المحبة وحسن النية قد قدمت كل الوعود والتأكيدات الضرورية ، هو القيام بأعمال عدوانية لاتستند الى المبادئ التي تسود العلاقات بين دولتين متحابتين .

أما التنبيه الذي وجهتموه الىّ أن أكفل بكل مالى من الوسائل سلامة سمو الخديو فيجب علىّ أن ألفت أنظاركم الى أنه ليس من الصواب إيجاد تمييز بين شخصية سمو الخديو توفيق باشا السامية وحكومته . وإنه لمن الطبعي جداً ان سموه مازال يعني بسلامة وهناء البلاد التي يحكمها أكثر مما يعني بسلامة شخصه .

وتفضلوا بقبول الخ... ٩ مندوب جلالة السلطان

الامضاء

درويش

وأرسل الأميرال سيمور من جهة أخرى إلى قائد الاسكندرية
الحربي الرسالة الآتية :-

(١٩)

من ظهر البارجة افنسييل بالاسكندرية في ١٠ يولييه

سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

اتشرف باخبار سعادتك أنه نظراً لحدوث استعدادات
حريية آخفة في الازدياد منذ يوم أمس في حصون السلسلة وفاروس
(قايتباي) وصالح . وهذه الاستعدادات موجهة بالطبع الى
الاسطول الذي تحت قيادتي ، قد عقدت العزم على أن أنفذ غداً
(١١ الجاري) عند شروق الشمس العمل الذي أعربت لكم
عنه في خطابي المؤرخ يوم ٦ الجاري إن لم تسلبوا لي حالا قبل
هذه الساعة البطاريات المنصوبة على برزخ رأس التين وعلى شط
ميناء الاسكندرية الجنوبي لمنع التسليح بها .

الامضاء

ولي الشرف الخ... ٩

سيمور

ولكى يستطيع القارىء أن يتبين الخطر الطفيف الذى كان الأسطول الانكليزى مستهدفاً له أورد هنا شهادة رجل انكليزى هو مسنر رويل Royle الذى كان محامياً بالاسكندرية ثم عين مستشاراً بمحكمة الاستئناف الأهلية . فقد ذكر فى مؤلفه ذى ايجيشيان كامپنز The Egyptian Campaigns ص ٦٣ هذا الانذار النهائى ثم قال : إن الخطر الذى كانت تستهدف له بوارج الأدميرال من جراء الاستعدادات المصرية لم يكن إلا خطراً وهمياً فى ذلك الوقت . ولو فرضنا وكان خطراً حقيقياً لكان فى الامكان السلامة منه والبعد عنه اذا غير الأدميرال موقف سفنه تغييراً طفيفاً .

وقد أسمى فى الوقت نفسه تهديده بضرب الحصون بعد حوادث ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ من بعض الوجوه ضرورياً حتى لو لم يكن ذلك إلا لاعادة كرامة الأوربيين . فضلاً عما ذكر فانه كان يهدد بهذا الضرب أول خطوة فى سبيل ملاشاة سطوة عراقى وجيشه الذى كان محشوداً إلى حد كبير بالاسكندرية . ٥١

والقسم الأول من هذا الكلام يطابق الحقيقة . أما القسم الثانى فالفرض منه تلطيف هذا الفعل بادماج الكرامة الاوربية فيه حتى كأن الدول الاخرى قد فوضت انجلترا فى القيام بهذا العمل نيابة عنها .

وأرسل أيضاً مستر كارتررايت إلى راجب باشا رئيس النظار

الخطاب التالي :-

(٢٠)

من ظهر البارجة تانجور Tanjore بالاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

سيدى الوزير .

بناء على البلاغ الذى قدمه الاميرال سير بوشامپ سيمور فى هذا الصباح الى القائد الحربى بالاسكندرية ، اذانى مضطراً الى أن أخلى
قضية صاحبة الجلالة البريطانية وأن أطلع الآن العلاتق التى كانت
بين سعادتك وبين شخصى بصفى اتى وكيل وقصص جنرال بالنيابة
عن جلالتها فى مصر .

الامضاء

ولى الشرف الخ...٩

كارتر ايت

* * *

ولما تلقى راغب باشا هذا البلاغ ولم يكن قد اطلع من قبل
على الانذار النهائى طلب من مسيو دى مارتينو de Martino قنصل
جنرال ايطاليا وأقدم السفراء أن يتكرم باستدعاء زملائه الفرنسى
والألمانى والنمساوى والروسى على ظهر المدرعة الايطالية (كاستلفيداردو
Castelfidardo) فى محل وجودها ليقوموا بمساع أخرى لدى
الاميرال . وفلا لى القنصل الطلب واستدعاهم ولكنهم بعد أن
اجتمعوا ظهر لهم أن الوقت قد فات .

ولما ذهب راغب باشا بصحبة عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية
وتجران بك سكرتير مجلس النظرار وقابلوا مسيو دى مارتينو فى

نحو الساعة الحادية عشرة صباحا لم يستطع إلا أن ينصح راغب باشا أن يسعى هو بنفسه لدى الأميرال فتوجه رئيس النظار ورفيقاه الى البارجة اغنمبيل وهناك تلقى الانذار النهائى . وبعد مناقشة طويلة قبل الأميرال تلطيفا في شروطه لم يكن في الحقيقة إلا تغييرا طفيفا وهو ينحصر في ازالة كافة المدافع التي في الحصون المشرقة على البحر وأن يقوم بهذه العملية الجنود المصرية تحت اشراف ضباط من الانكليز وبارح راغب باشا ورفاقه سفينة الأميرال بعد أن وعد بارسال الاجابة في المساء وتوجهوا في الحال الى قصر رأس التين وعرضوا على الخديو ودرويش باشا نتيجة سعيهم . فطلب الخديو عقد جلسة غير عادية لفحص الموقف وتمحيصه حضرها (١) الخديو توفيق (٢) المشير درويش باشا (٣) قدى بك سكرتير المشير (٤) السيد احمد أسعد عضو الوفد العثماني (٥) اسماعيل باشا راغب رئيس النظار وناظر الخارجية (٦) احمد باشا راشد ناظر الداخلية (٧) عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية (٨) أحمد باشا عرابي ناظر الجهادية والبحرية (٩) على باشا ابراهيم ناظر الحفانية (١٠) سليمان باشا اباطه ناظر المعارف (١١) محمود باشا الفلكي ناظر الاشغال (١٢) حسن باشا الشريعى ناظر الأوقاف (١٣) لطيف باشا من نظار البحرية السابقين (١٤) حافظ باشا من نظار المالية السابقين (١٥) محمد باشا سلطان رئيس مجلس النواب (١٦) اسماعيل باشا حتى ابو جبل عضو مجلس الشيوخ (١٧) محمد باشا سعيد عضو مجلس الشيوخ (١٨) محمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية (١٩) قاسم باشا من وكلاء نظارة

البحرية السابقين (٢٠) محمد باشا المرعشلى مدير التحصينات العام السابق (٢١) محمود باشا فهمى مفتش التحصينات العام (٢٢) طلبة باشا عصمت القائد الحربى للاسكندرية (٢٣) تيجران بك سكرتير مجلس النظار .

وكانت الجلسة متحمسة كثيرا والمناقشة حادة جدا والآراء متضاربة إلى أقصى حد . ويبدو أن حافظ باشا واسماعيل باشا ولطيف باشا كان من رأيهم التسليم بشروط الأدميرال . ويقول أحمد باشا شفيق فى مذكراته ص ١٦٢ إن ددويش باشا توجه إلى طاية الفئار مع محمد ياور افندى من ضباط الحرس الحديو لاختبارها واختبار المدافع المنصوبة فيها وقال فى هذا المجلس إنه بصفته من ضباط المدفعية يقرر أن الحصون والمدافع التى بها لا تستطيع مطلقا أن تقاوم مدافع المدرعات الانكليزية . وقال أيضا انه لو وثق بأن مصر تستطيع المقاومة لتولى بنفسه قيادة جيشها ولذا فصح لعرابى باشا بقبول طلبات الأدميرال سيمور .

وأذكر هنا حجة أخرى قيمة جدا هى ماقاله مرعشلى باشا مدير التحصينات العام السابق الذى حضر هنا الاجتماع الحافل وأبدى رأيه فى هذه المشكلة ونحن نرى رأيه هنا رأى رجل عاقل جدا فضلا عن أنه اخصائى ملم بمهنته تمام الامام . ولكن عما يؤسف له أشد الأسف أن الآراء الحصيفة التى يمثلها رأى هذا الخبير تهمل ولا يعمل بها فى وسط ساد فيه التحمس . وهالك قطعة من تقريره الذى قدمه الى لجنة التفتيش التى تألفت لمحاكمة المدينين فى هذه الحوادث وفيه اثبت هذا الرأى ، ثبتها هنا بنصها قال :-

في يوم الأحد ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ (٩ يولييه سنة ١٨٨٢) وردت لنا بوصلة من سعادة أحمد باشا رشيد ناظر الداخلية هذه صورتها :

بناء على التلغراف الوارد لنا من عطوفتو رئيس مجلس النظار باسكندرية مقتضى توجه سعادتكم لاسكندرية بالوابور المخصوص القائم من مصر يوم تاريخه بعد الظهر بربع ساعة للذاكرة في مسألة مهمة . فالأمل التشريف بالحضور لمحلة مصر في الميعاد المرقوم لأجل التوجه معنا نحن وبعض سعادات الذوات المتوجين أيضا أفندم ؟

فبناء على هذه البوصلة قد توجهنا إلى الاسكندرية في ليلة ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٩ (١٠ يولييه سنة ١٨٨٢) وفي صباح اليوم المذكور باجتماع المجلس بسراى رأس التين مركبا من هيئة النظار والذوات الملكية والجهادية وجد إعلان وارد من أميرال دوناتمة الانكليز مذكور به أنه بعد صدور أمر الدولة العلية بتوقيف تصليح الاستحكامات وتركيب المدافع والتجهيزات الحربية الجارية بمصر عرابى ورقصاء ضد الدوناتمة قوماندانتي وصدور أمر الحضرة الحديوية إليهم بذلك وامتثالهم لهذا الأمر لم يزالوا جارين التجهيزات ليلا ونهارا لغاية أمس وأجروا تركيب ثلاثة مدافع بأحدى الطوابى فلعدم امتثالهم للأوامر وبناء على الأمر الصادر لى من دولتى مجبور بضرب الطوابى باكر صباحا وإلا يصير نزول المدافع من على قناديقها للأرض مؤقتا حتى تنتهى المسئلة . ومن أجل ذلك توجه عطوفتو راغب باشا مع سعادة عبد الرحمن بك ناظر المالية

وسعادة قاسم باشا وكيل البحرية سابقا إلى الأميرال بالبحر لأجل
المرسى معه عن ذلك . وبعد عودتهم عرفوا بأن الأميرال لم يزل
مصمما على رأيه فلذلك انعقد المجلس ثانيا بعد الظهر تحت رئاسة
الحضرة الخديوية . وبالمداولة فيه كان المرض للأعتاب من سعادة
محمود باشا الفلكي عن لزوم النظر في أخف الضررين إما قبول
الضرب أو نزول المدافع . ولذا يلزم السؤال عن أحوال الطوابي
ومدة مقاومتها لمقنونات مدافع الدونامة من مرعشلى باشا حيث
أنه خبير بذلك . فبوقته سألتى حضرة الخديو عن ذلك فكان
جوابى إن صاحب الوظيفة الآن محمود فهمى يستل منه . ويتوجه
السؤال إليه أجاب بأن طوابى سواحل اسكندرية تقاوم مقنونات
الدونامة مدة ثلاثة شهور . فبوقته فهمت من مجاوبته أنها إما أن تكون
على جهل منه أو لغرض تقوية عزم العصاة . وبإعادة استفهام
الحضرة الخديوية منى عن ذلك أجبت بأن طوابى اسكندرية
لا تتحمل أكثر من أربع وعشرين ساعة إذا كان الضرب مستمرا
وفى ظرف أربع أو خمس ساعات تتخرب الطوابى وأغلب المدافع
تلقى على الأرض من إصابتها المقنونات لكونها مكشوفة ويكون
بداخل الطوابى مثل مجزرة من العساكر القتلى المصايين من الكلل
والشرنبالات ومن انتشار قطع الأحجار التى تصادما الكلل فى الأبنية
العالية . وهذا لكون الطوابى المذكورة مبنية من زمن مديد
بالنسبة لمقاومة الأسلحة القديمة . والأسلحة الجديدة لها تأثير أكبر

من الاسلحة القديمة . والمراكب الخشب تغيرت بمراكب زرخ .
وأما تلك الطوابى فانه لم يحصل فيها تغيير . فاذا كان التصميم على
الضرب فالأحسن لأجل حقن دماء العساكر لا يلزم دخولها بالطوابى
وقت الضرب . فكانت المعارضة لى من محمود فهمى بأقواله إنه حضر
محاربة حدود الصرب وانه نظر تأثيرات كلل وشرنابات بكثرة
وما كان يخاف منها . كذا عارض طلبة أيضا بقوله نحن يلزمنا
أن نذبح بكلة الانكليز تحت المدافع ولا تركها بدون عساكر .
وكذا عارض عرابى بقوله انه إذا تركنا الطوابى بدون عساكر
فان الانكليز بعد أن يخربوها فى الحال توضع بها بنديرات الانكليز .
وقال أيضا هل كل الانجليز تؤثر بطواينا وكلنا لا تؤثر بالمراكب .
فكانت المجاوبة منى لعرابى أن المدافع التى بطواينا تأثيرها فى المراكب
قليل جدا وأغلب المدافع من الطراز القديم ولا يكون لها أدنى تأثير
فى مراكب الزرخ فضلا عن ذلك فأن مدافعهم وعساكرهم فى داخل
أود من الحديد وأما عساكرنا ومدافعنا فأنهم فى الكشف تنزل عليهم
الشرنابات والكلل بكثرة مثل المطر وتلفهم فى أقرب
زمن . وأما القول عن الانكليز انهم بعد تغريب الطوابى
يضعون البنديرة بها فهذا ليس من السهل بما أنهم ليسوا هم من
الطير حتى يمكنهم من مسافة نحو الألف وخمسة مائة متر أن يطيروا
ويدخلوا الطوابى لأنهم متى أرادوا التوجه على الطوابى يلزمهم
تدبير عساكرهم فى مناديل لأجل طلوعهم على الساحل . فبوقتها

يلزم على العساكر التي في البر أن يستعملوا للدفاع وعدم ترك الانكياز لأن يظلموا على البر . وفي ذلك صعوبة جدا للهاجين بالنسبة لفن الحرب . فإكان يقبل أقوالنا وطعن في حقنا . ونحن كذلك جاوبناه بما لزم . وترتب على ذلك أن اكتسبنا زيادة عداوة مع المذكورين علاوة على العداوة الأصلية الناتجة منها اخلاؤنا من الوظيفة . وكانت مجاوبتنا لهم بما ذكر لأجل تخويف العصاة وارتجاعهم عن المقاومة وتزليل المدافع بما أن ذلك أخف الضررين . ثم بعد تلك المحاورات التي حصلت بالمجلس في مساء يومها جهزوا العساكر طوبجية وبيادة وأهالي متطوعين بطوابي الساحل . وفي الصباح حصل الضرب من الطرفين . وبحال الضرب تلاحظ أن الضرب من المراكب ما كان إلا للطوابي التي بها العساكر فقط وتركوا الطوابي التي لم يكن بها عساكر بدون ضرب . ثم تلاحظ أن رؤساء العصاة بدلا عن أنهم يصيرون بالطوابي حال الضرب حتى يصير جزرم تحت المدافع كأقوالهم بالمجلس هربوا وتوجهوا إلى طاية الدماس المنية وأخفوا أنفسهم تحت العقود من ضرب الكال حتى تسبب مما حصل من اجراآتهم وحالة الضرب مهاجرة الأهالي فتركوا أمتعتهم وأموالهم وهم في أسوأ حال . وكذا الذوات السابق حضورهم من المحروسة هاجسوا معهم . ومن ذلك اتضع تأييد محبة أقوالنا التي أبديناها بالمجلس بشأن عدم وضع عساكر بالطوابي فإذا كان لم يحصل مبارزة العصاة بوضع عساكر بالطوابي

كما أورتنا ما كان الاميرال يأمر بضربها ولا كان يحصل شيء من التلفيات . ثم لما رأينا هذه الحالة وبتهدى من العصاة بالكلام حال وجودى معهم وقت الضرب بطاينة الدماس مع أغلب النظار وعدم وجود منزل لنا ولا مأوى باسكندرية ولم يكن لى وظيفة تستوجب ابقاءنا بها فضلا عن صعوبة الحالة التى كانت حاصلة وخشية من حصول اضرارى من العصاة لما نظر من أحوالهم وعدم استمدادى بلوازم الإقامة باسكندرية ، حضرنا مع الذوات إلى المحروسة الخ الخ .. ١٠٠ هـ

وهناك رواية أخرى عن هذا الاجتماع رواها مسيو بيوفيس Biovés فى الصفحة ١٥٠ من كتابه (الفرنسيون والانكليز فى مصر Français et Anglais en Egypte) وهذه الرواية لم أتعلمها هنا إلا بعد أن تحققت من مطالعة هذا الكتاب أنه من أحسن الكتب التى سطرت عن هذه المأساة المحزنة وأن مؤلفه كان مسموحا له بالاطلاع على جميع المستندات الرسمية لذلك الحادث المشهور . وفوق هذا فإن معلوماته مستقاة من مصادر صحيحة معتبرة . وإليك ماقاله فى هذا الصدد :-

لقد كان الخديو توفيق يرغب فى عقد اتفاقية صلح شريفة بينه وبين الانكليز ولكن هذا المخطط أثار غضب المشير (درويش باشا) الذى ضرب المائدة بقبضة يده وصاح قائلا : لاتنسوا أنكم جميعا عبيد السلطان الذى مقره بالآستانة ، وليس هنا محل

للدولة ، وتسليم الحصون المصرية أمر يكسو المسلمين ثوب
الحزى والعار . ٥١

أما أنا شخصيا فأرجح أن درويش باشا كان معارضا لطلب
الأميرال سيمور كما يستفاد من منطوق الخطاب السالف الذكر
الذى بحث به إلى سنر كارتر ايت .

ومهما يكن بين هذه الروايات من التناقض فقد تقرر بعد
المنافسة أبلغ الأميرال في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢ القرار التالى ردا
على انذاره :-

(٢١)

لم تعمل مصر شيئا يقضى بإرسال هذه الأساطيل
المتجمعة . ولم تعمل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمل
يسوغ مطالب الأميرال إلا بعض اصلاحات اضطرارية فى أبنية
قديمة . والطوايى الآن على الحالة التى كانت عليها عند وصول
الأساطيل . ونحن هنا فى وطننا وبيتنا . فمن حقنا بل من الواجب
علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عنو مباغت يقدم على قطع أسباب
العلاقات السلية التى تقول الحكومة الانكليزية إنها باقية بيتنا .

ومصر الحريصة على حقوقها السامرة على تلك الحقوق
وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طاية دون أن
تكره على ذلك بحكم السلاح .

فهى لذلك تمنح على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم وتوقع مشويات

جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التي تنجم إما عن هجوم الأساطيل أو عن إطلاق المدافع على الأمة التي تقذف في وسط السلام القنبلة الأولى على الاسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لاحكام حقوق الانسان ولقوانين الحرب . ١٠

وأیضا تقرر من باب المسألة قبول إزال ثلاثة مدافع يختارها الاميرال وإذا أبى وأصر تلقى عليه مسؤولية التعدي وذلك بعدم المجابة إلا بعد إطلاق القنبلة الخامسة . وقد بلغ راغب باشا الاميرال سيمور ذلك بالخطاب الآتي :-

(٢٢)

الاسكندرية في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

حضرة الاميرال

طبقا لما سبق أن وعدتكم به في أثناء المحادثة التي دارت بيني وبينكم هذا الصباح رفعت لسمو الخديو في اجتماع حافل بالنظار وكبار موظفي الحكومة الشروط المدونة في الخطاب الذي تكرمتم بإرساله الى قومندان الاسكندرية في بكرة هذا النهار وذكركم فيه أنكم نويتم تنفيذ أغراضكم المينة بخطابكم اليه يوم ٦ من الشهر الحال في فجر الهند (١١ الجارى) وذلك اذا لم تسلم لكم مؤقتا البطاريات القائمة على برزخ رأس التين وساحل ميناء الاسكندرية الجنوبي لتجريبها من السلاح قبل هذه المهلة .

واني لأسف يا حضرة الاميرال أن أعلمكم بأن حكومة سموه

تعتبر هذا الطلب غير مقبول وانها لا ترغب قط في تكدير صفو العلاقات
بينها وبين بريطانيا العظمى ولكنها لا تستطيع أن تعترف بأنها اتخذت
أى تدبير يمكن أن يعتبر تهديدا للأسطول الانكليزي سواء أكان ذلك
من جهة إقامة أعمال في الحصون أم من ناحية تركيب مدافع
بها أو استعدادات حربية .

ومع ذلك نحن مستعدون أن ننزل ثلاثة مدافع من البطاريات
التي أومأتم اليها لنبرهن لكم على أيماننا السلبية ورغبتنا في تلبية طلبكم
على قدر الامكان .

وإذا كنتم تصرون رغم هذه التقدمة على إطلاق النار فالحكومة
المصرية تحفظ لنفسها الحق وتلقى مسئولية هذا العمل العدائي على عاتقكم .
وتفضل يا جناب الأميرال بقبول الخ . ٩

رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية
الامضاء
اسماعيل راغب

وتسلم هذا الخطاب ياور درويش باشا وضابطان مصريان
لتوصيله للأميرال ولكن بسبب أن جميع السفن كانت أنوارها
مطفأة لأنها كانت تعتبر الحالة وقتئذ حالة حرب أمست الميناء تسبح
في ظلام دامس ولم يستطع هؤلاء الضباط أن يجدوا سفينة الأميرال
ليسلموه هذا الخطاب في نفس تلك العشية .

وفي صباح ١١ يولييه توجهوا الى البارجة هلكن وهذه

أوصلتهم إلى الأفنسيل التي كان بها الأميرال وسندوه خطاب راغب
باشا في الساعة السادسة صباحا .

وبعد أن أطلع عليه الأميرال وعلم ما جاء به أرسل معهم
الرد السلي الآتي :-

(٢٣)

من ظهر البارجة افنسيل بالاسكندرية في ١١ يولييه سنة ١٨٨٢
ياصاحب السعادة

أتشرف باخباركم بوصول بلاغكم المؤرخ بتاريخ أمس وآتى
أسف أن أخبركم أنه ليس في استطاعتي أن أقبل ما عرضتموه
في هذا البلاغ .
ولى الشرف الخ...و

رئيس قومندانة القوة البحرية البريطانية في البحر الابيض المتوسط
الامضاء
بوشامپ سيمور

وانصرف هؤلاء الضباط ومعهم الرد وانتظر الأميرال وصولهم
الى البر ثم أعطى الاشارة باطلاق النار .

وقبل حصول الضرب أرسل لورد جرافيل باسم حكومته
الى ممثلى حكومة صاحبة الجلالة البريطانية في باريس وبرلين وفيينا
وروما وسان بترسبرج والأستانة البرقية التالية اتعلما لسلسلة هذه

المكاتبات وتبريرا للعمل الذى لا أجد ما أصفه به الوصف الكافى والذى أوشك أن يحدث ، وإليك نص هذه البرقية :-

(٢٤)

وزارة الخارجية فى ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

بناء على برقىتى التى أرسلتها أمس مساء بينوا للحكومة التى أنتم معتمدون لئبها أن الخطة التى أنبأنا أميرالنا أنه سيسير عليها ليست أكثر من عمل دفاعى بسيط ومشروع - وأما قتاله - اذا كانت تدعو الضرورة لسوء الحظ الى قتال ، فسيأثره لهذه الغاية وبدون أية فكرة أخرى .

ويتضح من تقريره أن أولى الأمر والنهى بالاسكندرية على وشك أن يقوموا باستعدادات عدوانية ويضربوا بأوامر السلطان ورغبات الخديو عرض الحائط رغما عن تأكيداتهم الايجابية ؟

وأرسل إلى لورد دوفرين Lord Dufferin برقية واحدة بقصد خداع السلطنة العثمانية ، وهى :-

(٢٥)

يجول بفكرنا أن ما نقوم به من الأعمال لم يكن إلا فى صالح السلطان الذى يستخفون بسيطرته ؟

* * *

فهل من الممكن تغيير الحقيقة بجرأة أشد من هذه الجرأة ؟
ومن أى جانب يكون الدفاع المشروع ؟ أمن جانب أسطول قوى قدم مياه بلد وصار يصوب مدافعه وقاذفات

أنواره الكهربائية كل ليلة على حصون هذا البلد ؟
أم من جانب أهالي هذا البلد الذين عندما رأوا ذلك أخذوا
يحاولون - تأمينا على حياتهم - القيام ببعض ترميمات نافذة غير مجدية في
حصونهم العتيقة ؟

نعم لانزاع في أن القوة تصير الباطل حقا ولكنها في الحالة
الحاضرة جاوزت في انتهاكها للحق كل حد .

وكان هنالك على ماأرى وسيلتان للخروج من هذا المأزق :-

الوسيلة الأولى التي أوعز بها مرعشلى باشا وهي تقضى بالكف عن
مجاوبة نيران الاسطول الانجليزى واخلاء الحصون من الجنود
وبهذه الكيفية يكون الانجليز نالوا مشتهم وإذا استمروا بعد ذلك
على تصويب مقذوفات مدافعهم على حصون لم تقابل عدوانهم بمثله
لأجل نفس مدافعها يكونون قد أتوا بعمل لايشرفهم ولا يهين
لهم أى حجة لاحتلال المدينة ، وبهذه الوسيلة نكون قد تجنبنا
خسارة جنودنا الأبطال الذين راحوا ضحية في ذلك اليوم المشؤم .

والوسيلة الثانية هي - أنه كان يوجد في ميناء الاسكندرية
بوارج حرية لكل الدول فكان في الاستطاعة الاتفاق
معا على أن ترسل كل واحدة منها فرقا من بحارتها
إلى البر وتعهد اليها حراسة الحصون المطلة على البحر .
وبهذه الكيفية لا يكون للأميرال حجة يتمسك بها ويزعم

أنه مهدد وإذا استمر بعد ذلك على تنفيذ خطته ولم ينجح إلى السلم وجد أوروبا كلها أمامه .

ويظهر لي أن هذين الحطين كانا هما السيل الوحيد لاجتياز مصر هذه العقبة الخطرة . ولكن شأت الأقدار غير ذلك بعد أن فرغ كل مافي جعبتها من وسائل السلم فأقبلت على الخضوع إلى ماقدار لها في عالم الغيب ومكابدة أحوال فوادح الخطوب من احتلال أجنبي أعقبه بتر أكبر قسم من أراضها .

مواقع الحصون من موقف الأسطول

قبل أن أتكم عن ضرب الأسطول لحصون الاسكندرية يجدر بي أن أئين مواقع الحصون بالنسبة للأسطول ليكون الأمر أمام عين القارىء في صورة واضحة جلية .

إن حصون الاسكندرية القائمة على طول شاطئ البحر تنقسم إلى ثلاث مناطق بالنسبة لتعرضها لضرب الأسطول :-

١ - المنطقة الأولى . وهى الواقعة شرق المدينة ، ليس بها غير حصن السلسلة . وهذا الحصن لانعده قد اشترك في القتال وان كان قد أطلق بعض طلقات على السفن التى كانت تصوب مقذوفات مدافعها على قلعة قايتباى . لأن هذه السفن لم تجاوبه بتاتا فلم يصب بضرر ما .

٢ - المنطقة الثانية . وهي الواقعة شمال المدينة ، بها من الحصون حصن قايتباي والحلالية والأطلة والاستبالية ورأس التين والقنار .

٣ - المنطقة الثالثة . وهي الواقعة غرب المدينة ، بها من الحصون حصن صالح أغا والبرج رقم ١٥ وأم قبيلة والعجمي والمرابط . وكان حصن العجمي لم يتم انشاؤه إلى وقت الضرب .

أما الأسطول الانجليزي فكان مؤلفا من مائتي مدرعات كبيرة وخمس سفن صغيرة غير مدرعة . وقد انقسمت المدرعات إلى قسمين :-

١ - القسم الاول ، ويسمى الأسطول الخارجي ، كان مؤلفا من المدرعات الخمس : الكسندرا ، واقلكسيل ، وسلطان ، وسورب ، وتمير . وهذا القسم كان يقوده الكابتن هنت جرب Hunt Grubbe قائد المدرعة سلطان . وكانت مهمته تنحصر في الوقوف خارج الميناء في عرض البحر ومهاجمة حصون المنطقة الثانية .

٢ - القسم الثاني ، ويسمى الأسطول الداخلي ، كان مؤلفا من ثلاث مدرعات هي اثنسييل ، ومونارك ، وبنلوب بقيادة الأميرال سيمور وكانت مهمته أن يقف في الجزء المتقدم من الميناء ويهاجم حصون المنطقة الثالثة . وهذا التقسيم كان سريا في انتقال الأميرال سيمور من الكسندرا سفينة القيادة لهذا الأسطول إلى المدرعة اثنسييل .

وأما السفن الخمس الصغيرة فقد تلقت الأمر بأن تقف

خارج منطقة مرمى القنابل الى أن تحين الفرصة المناسبة التي تسمح لها بالاشتراك في مهاجمة حصون المنطقة الثالثة نظرا لقصر عمق غاطسها .

وكانت الخطة المرسومة لكلا قسمي الأسطول كما قلنا آتفا أن تصوب مدروعاته نيران مدافعها كلها سوياً الى حصن واحد وبعد أن تسكته تقصد الى الحصن الذي يليه وتقوم بنفس العمل الذي عملته مع الحصن السالف . وهكذا دواليك مع باقي الحصون إلى أن تسكت جميعا سكوتا تاما .

وبما أن العمل بهذه الكيفية أى تصويب قوة كل الأسطول في آن واحد الى حصن واحد، من شأنه أن يجعل الأسطول متفوقا على هذا الحصن الواحد تفوقا كبيرا، فقد بذل القومندان جودريتش مجهودا كبيرا ليصل الى الموازنة بين القوتين في الجانبين في مختلف المعارك التي دارت رحاها بهذه الكيفية بين الأسطول والحصون ويبين كل واحدة منها على حدة . وهذه هي النتيجة التي حصل عليها :—

النسبة بين قوة الحصون وقوة الأسطول

قوة حصن قايتباي بالنسبة للأسطول الذي هاجمه	٤	:	٣٣
الاطلة	٥	:	٣٣
رأس التين	٧	:	٢٦
القفار	٤	:	٢٦
المكس	٥	:	١٦

وقد قال القومندان جودريتش بعد ذكر هذه الموازنة إنه
يعدها دون الحقيقة بالنسبة للأسطول لتفوق عيار مدافعه على
عيار المدافع المصرية .

وإذا أضفنا الى ذلك تفوق رجال المدفعية الانكليزية
بالنسبة لتجاربهم على رجال المدفعية المصرية لعدم مراتهم كان البون
بينها سحيقا بعيدا .

حامية الاسكندرية

قبل مذبحة الاسكندرية التي حدثت يوم ١١ يونه سنة ١٨٨٢
كانت حاميها مؤلفة من ٥ جي يادة و ٦ جي يادة وهما الألايان
الليان يتألف منها اللواء الثالث بقيادة اللواء خورشيد باشا طاهر .
ومن ١ جي طوبجية سواحل بقيادة أمير الألاي اسماعيل بك صبرى .
وكان هؤلاء جميعا تحت أمرة الفريق اسماعيل باشا كامل .

وبعد تلك المذبحة عندما قدم الى الاسكندرية يعقوب باشا
سامى وكيل نظارة الجهادية وكان عضوا فى المجلس الذى تألف لتحقيق
هذه الحادثة وتوطيد النظام بكيفية شافية وافية فى هذه المدينة
خصوصا بعدما جاءت الى مينائها الأساطيل الفرنسية والانكليزية
وغيرهما وراجلت فيها ، كتب سامى باشا الى نظارة الجهادية لتعزيز هذه
الحامية وترسل لواء مؤلفا من الأليين من المشاة . فلبت النظارة طلبه

وأرسلت الى الاسكندرية ٢ جى قيادة و ٤ جى قيادة بقيادة اللواء
طلبة باشا عصمت . ولما رأى الفريق اسماعيل باشا كامل طلبة باشا
عصمت على رأس هذا اللواء وكان على علم بأنه لا يخضع له ولا
يرضى بأن يكون له عليه أى سيطرة وإن كان أرقى منه رتبة
لأن طلبة باشا من صنائع عرابي ، أخذ اجازة مرضية ابقاء لهذه
المخازير وتخلص من القيادة التي انتقلت من يده ابتداء من ذلك اليوم
وأصبحت في يد اللواء طلبة باشا عصمت .

واليك يانا بوحدات حامية الاسكندرية يوم ضرب حصونها :-

٢ جى قيادة

القائد — أميرالاي خليل بك كامل .

وكيل القائد — القائمقام احمد بك عفت .

بكباشي الأورطة الأولى — محمد افندي عارف .

، ، الثانية — محمد افندي فوده .

، ، الثالثة — محروس افندي شلش

١٨٦٣ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٤ جى قيادة

القائد — أميرالاي عبد بك محمد .

وكيل القائد — القائمقام فوده بك حسن .

بكباشي الأورطة الأولى — احمد افندي عبد الرحمن .

١٨٦٣ ماقبله

بكباشى الأورطة الثانية - رزق أقدى حجازى .

، ، الثالثة - حسن أقدى عاصم .

١٨٨٥ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٥ جى زيادة

القائد - أمير الألاى مصطفى بك عبد الرحيم .

وكيل القائد - القائمقام فرج بك عبد العال .

بكباشى الأورطة الأولى - يوسف أقدى السيد .

، ، الثانية - عبد الرحمن أقدى سليم .

، ، الثالثة - سليمان أقدى تغيلب .

١٨٢٤ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٦ جى زيادة

القائد - أمير الألاى سليمان بك سامى .

وكيل القائد - القائمقام على بك عيسى .

بكباشى الأورطة الأولى - على أقدى رمزى .

، ، الثانية - فرج أقدى يوسف .

، ، الثالثة - احمد أقدى راغب .

١٨٩١ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٧٤٦٣ مجموع الزيادة ضباط وصف ضباط وجنود .

٧٤٦٣ ماقبله

١ جى طوبجينة سواحل

- القائد - أمير الآلاى اسماعيل بك صبرى .
 وكيل القائد - { القائم مقام محمد بك نسيم .
 { والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم
 بكباشى الأورطة الأولى - عبد المال افندى ابو العلا .
 . . الثانية - { سيف النصر افندى . والد حضرة صاحب
 { العزة حمدى بك سيف النصر .
 . . الثالثة - محمد افندى شرى .
 ١٧٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

أورطتان من ١ جى سوارى

- القائد - البكباشى محمد افندى منيب .
 ٢٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .
 ٩٤٨٧ المجموع الكلى

* * *

استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب

لقد فشلت كل الجهود التى بذلت ابتغاء ايجاد طريقة للسلم
 واجتناب الحرب بسبب غناد الأميرال سيمور وتصلبه . ولم يبق
 إلا تفويض الأمر للحديد والنار .

وفى ليلة ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ أرسل مرابى باشا

أمره الأليات عيد بك محمد ومصطفى بك عبد الرحيم وسليمان بك
سامي قواد ٤ جى و ٥ جى و ٦ جى زيادة فى طلب أمير الأليات
اسماعيل بك صبرى قائد ١ جى طوبجية سواحل وقومندان
حصون الاسكندرية . وكان عرابى باشا وقتئذ بالترسانة ومعه محمود
باشا فهمى وطلبة باشا عصمت قائد حامية الاسكندرية ومحمد
باشا كامل وكيل نظارة البحرية . فلما جاء أخبره أن الأسطول الانكليزى
سيضرب حصون الاسكندرية صبح يوم الغد . واستطرد فى الكلام
فقال : وان كان المجلس الذى انعقد فى سراى رأس التين برئاسة
الخديو قرر عدم مجاوبة الأسطول إلا بعد الطلقة الخامسة فمن
اللازم أن يصدر أمرا بأن المجاوبة لا تكون إلا بعد الطلقة العاشرة .

وبعد أن تلقى اسماعيل بك صبرى هذه الأوامر انصرف
هو ووكيله القائم مقام محمد بك نسيم ليقابل بكباشية الأليات ويلفهم
الأوامر التى تلقاها وبعد أن أتم مهمة التبليغ ذهب كل واحد
من هؤلاء إلى مركز عمله . فذهب البكباشى عبد المال ائندى
ابو العلا إلى قلعة قايتباى والبكباشى سيف النصر ائندى الى حصن
الفتار . والبكباشى محمد ائندى شرمى إلى حصن المكس . أما
أمير الأليات اسماعيل بك صبرى فقد أخذ تحت قيادته المباشرة
حصون المنطقة الثانية وأقام مركز قيادته فى حصن الألية
وأرسل وكيله القائم مقام محمد بك نسيم لقيادة حصون المنطقة الثالثة
وقد جعل مركز قيادته بحصن المكس .

وأصدر أحمد باشا عرابى الأوامر الآتية للشاة :-

يجب على ه جى زيادة بقيادة أمير الآلاى مصطفى بك عبد الرحيم أن يفرق خلف حصون المنطقة الثانية أى من قلعة قايتبلى الى حصن الفنار مع ٤ جى زيادة بقيادة أمير الآلاى عبد بك محمد . وعلى الآلاى الأخير أن يقيم ياب شرق بصفة احتياطى .

ويجب على ٦ جى زيادة بقيادة أمير الآلاى سليمان بك سامى أن يفرق خلف حصون المنطقة الثالثة أى من حصن طاية صالح إلى حصن الجسمى ومعه ٢ جى زيادة بقيادة أمير الآلاى خليل بك كامل . وعلى هذا الآلاى الأخير أن يقيم بالقبارى بصفة احتياطى .

وعلى الأورطين من ١ جى سوارى أن تقوموا بواجب الخدمة بصفة مراسلة بين مختلف الحصون والمراكز .
هذه هى الترتيبات التى وضعها القيادة المصرية .

أما الانكليز فقد وجه الأميرال سيمور بتاريخ ١٠ يولييه الى قواد وضباط بوارج صاحبة الجلالة الملكة باسكندرية أوامره باتباع الترتيبات التى جاءت فى هذا المنشور :-

من البارجة افنسيل فى ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢

لأنه فى حالة ما اذا لم اتلق جوابا مرضيا على الانذار الذى أرسلته إلى قائد الاسكندرية المحبرى اطلب منه فيه أن يسلنى مؤقنا الحصون القائمة على ساحل الميناء الجنوبى (حصون المنطقة الثالثة ، من

حصن صالح الى حصن العجمي) وحصون رأس التين - اذا لم
أُتلق جوابا مرضيا - يغير الأسطول بقيادة على الحصون عقب
ما تنتهى الأربع والعشرون ساعة وهى مدة المهلة التى أمهلت بها
المحايدين ليأرحوا فى خلالها المديّة . وهذه المدة تنقضى فى الساعة
الخامسة صباحا من يوم ١١ يوليّه .

وسيكون الهجوم من ناحيتين :-

١ - الناحية الأولى داخل الميناء ، وتشترك فيه اثنتسبيل ،
ومونارك ، وبنلوب .

٢ - الناحية الثانية خارج حاجز الأمواج ، وتشترك فيه
سوبرب ، وتمرير ، والكسندرا ، وافلكسبيل .

ويبتدىء القتال عند صدور الإشارة منى . وفى هذه الحالة على
السفينة الأكثر دنوا من سائر التراب الذى أقيم أخيرا فى طائسة
الاسبئالية التى بجوار حصن الألة ، أن تصوب قذيفة الى هذا السائر .

وعندما نجابو الحصون الأسطول الخارجى باطلاق النار
يجب على السفن بذل كل مجهودها وتدمير البطاريات القائمة على
شبه جزيرة رأس التين خصوصا حصن الفئار المثل على الميناء . ومتى
نم ذلك تنبّه سلطان ، وسوبرب ، والكسندرا الى الشرق لنهاجم
حصن فاروس (قايتباى) . وتهاجم حصن السلسلة اذا كانت
مهاجمة فى الامكان .

وتجه انفلكسيل في عصر هذا النهار نحو الموقع الذى بقرب
البوغاز الصغير والذى عين لها أس وتستعد لضرب مدافع خط
المكس ومساعدة الأسطول الداخلى عند ما تعطى الاشارة بالضرب .
وتأخذ تمرير ، وسلطان ، والكسترا في ضرب حصون
رأس الثين من الجانب .

وتظل السفن الصغيرة في الخارج بعيدة عن منطقة القتال
إلى أن تجد الفرصة المناسبة للهجوم على المكس .
ويجب على السفن أن تراعى في تنفيذ هذه التعليمات
كلها دواعى الظروف مراعاة كبيرة بمعنى أنها تراعى الحالة التى
يجب عليها أن تقاتل وهى فيها . فأما أن تقاتل وهى راسية في
مراسيها أو تقاتل وهى متحركة .

وإذا كانت الحالة تدعو الى كمالها وهى ملقاة مراسيها
وجب حينئذ أن يزداد حبل من القولاذ .

وعلى الجنود أن يتناولوا فطورهم في منتصف الساعة
الخامسة صباحاً وأن يرتدوا ملابس العمل الزرقاء .

وسيكون الأسطول الداخلى تحت قيادة الشخصية ،
والأسطول الخارجى تحت قيادة الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان .
وتقوم السفينتان هلكن وكندور بوظيفة سفن الاعادة .

وبالجملة ينحصر الغرض من الهجوم في تخريب الحصون
وتدمير البطاريات المنصوبة على واجهة بحر الاسكتندرية .

ومن المحتمل أن هذا العمل لا يمكن إتمامه في أقل من يومين أو ثلاثة . فيجب استعمال المقذوفات مع الحرص . وعلى كل حال من المرتقب قدوم الباخرة ممبر Humber الى هنا في ١٢ يولييه وعليها مقدار كبير من الذخيرة .

واذا وصلت البارجة اتشلز Achilles في الوقت اللازم يجب عليها مهاجمة حصن فاروس (قايقاى) والوقوف في الموقف الذى يأمرها قائد الأسطول الخارجى أن تتخذه .

وتقف الكسترا على بعد ١٥٠٠ ياردة تجاه حصن رأس التين .

وتقف سلطان على بعد ١٧٥٠ ياردة تجاه منتصف المسافة بين حصن الفنار ورأس التين .

وتقف سورب على بعد ١٩٥٠ ياردة تجاه حصن الفنار .

وتقف اقلكسيل على بعد ٣٧٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المكس .

وتقف تمرير على بعد ٣٥٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المكس .

وتقف بنلوب ، واثنسيل ، ومونارك على بعد يتراوح بين

١٠٠٠ و ١٣٠٠ ياردة في الشمال الغربي من المكس ؟

الامضاء

پوشامپ سيمور

أميرال وقومندان القيادة

ويؤخذ من ترتيب هذه البوارج عدا البارجتين اقلكسيل
ومحبر ووضعا في هذه المواقف أن الأميرال أراد أن تكون
المسافة التي يرمى منها هذا الأسطول مقنوقاته وخصوصاً الأسطول
الداخلي ، قصيرة قريبة من الحصون على الرغم من بعد مرمى
مدافع سفنه الضخمة . ومن هذا نستنتج عدة نتائج :-

١ - أن المخاوف التي كان يخشى منها الأميرال على
أسطوله من جراء وضع مدافع في الحصون قبل الضرب ، كانت
مخاوف مختلفة أراد بها تهجير عمله .

٢ - أن هذا الأميرال لم يكن يخشى ضرراً كبيراً من
المدفعية المصرية التي في هذه الطوابق . ولذلك دنا منها هذا الدنو
الكبير الذي لم يجرئه عليه إلا اعتقاده الجازم بقصر مرمى
هذه المدفعية وضعف تأثير مقنوقاتها .

٣ - أنه كان على علم تام بأن هذه الحصون كلها
عدا قلعة قايتباي كانت مدافعها منصوبة في العراء وبلا وقاية
تقي جنودها . والدليل على ذلك أنه أمر باستعمال مدافعه
الصغيرة خصوصاً المنصوبة منها في الطبقات العليا من سفن هذا

الأسطول ، وذلك لكي يفتك بجنود هذه المدافع فيسكنها بقتل جنودها ويدون أن يحتاج في اسكانها إلى ضربها واتلافها وهذا ماحدث فعلا في كل هذه الحصون عدا قلعة قايتباى .

البدء بالضرب

في صباح يوم ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ في الساعة السابعة صباحاً أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب غير مبال أية مبالاة بحقوق الشعوب الأمر الذى يكسو الحكومة التى واقتت على سفك دماء الأبرياء ثياب العار ، ويسجل في تاريخها صفحات سوداء لايمحوها مرور الأزمان ولا كروور الأعوام .

وقد كان الجو وقت الضرب صحوا والبحر رهوا إلا أن النسيم الذى يهب في هذا الفصل على الاسكندرية من الشمال الغربى كان يطرد دخان مدافع الأسطول إلى الشاطئ. فينثر الظلام على الحصون ويحول في قررات واسعة دون رؤية الأهداف التى يجب أن تسدد إليها السفن مقنوقاتها . ولولم تظهر أمام الأسطول هذه العقبة لكان موقفه من أحسن المواقف .

وعلا بأوامر الأميرال أرسلت الكسندرا التى كانت أقرب السفن من حصن الاسبتالية ، أول قذيفة إلى هذا الحصن . واقتدت بها بقية السفن فأطلقت مدافعها ولكن بعض الحصون

لم تجاوبها إلا بعد الطلقة العاشرة والبعض الآخر بعد الخامسة عشرة .
ثم عمت المعركة الجانبين .

حركات الاسطول الخارجى

سارت سفن هذا الاسطول فى بدء المعركة على الحطة الحرية
التي رسمت لها فصولت مقذوقاتها أولا على حصون القنار ،
ورأس التين ، والاسبتالية . ولم تمر مؤقرا التفاتها إلى الحصون
الأخرى . وقاقت ثلاث منهن متقلة وهى سلطان ،
وسوبرب ، والكسندرا . أما البارجة افنسييل فكانت ملقية مراسيها فى
المر الصغير لتعاون الاسطول الداخلى مصوبة مدفعين من مدافعها
منصوبين فى برجها الأمامى وزن الواحد ٨٠ طنا لضرب الحصون
السالف ذكرها ومدفعين فى برجها الخلفى لضرب حصن المكس .

وأما البارجة تمرير خامسة بوارج هذا الاسطول فقد نشبت
فى مكانها (شحطت) أثناء المناورة التى كانت تقوم بها لتتخذ الوضع
الذى رسم لها خارج البوغاز ، ولكنها واصلت الضرب وهى فى المكان
الذى نشبت فيه وجاءت السفينة كندور لاقاذاها فقومتها بدون
أن ينالها أى ضرر .

وقد كانت هذه البوارج الثلاث تقاوت وتكافح من بدء القتال
فى الساعة السابعة إلى منتصف الساعة الحادية عشرة وهى متقلة
وعلى بعد ١٥٠٠ ياردة حسب تعليمات الأميرال وقاومتها الحصون

مقاومة فافت ما كان يظنه الانكليز وأبدى جنود مدفعيتها فى اطلاق هذه المدافع مهارة لم يكونوا يتوقعونها منهم فألفت هذه البوارج مراسها عند منتصف الساعة الحادية عشرة لأنها رأت ضربها غير محكم وهى متقلة . وبذلك حصلت عل المسافة المضبوطة التى تفصلها من الحصون وأخذ ضربها لها ابتداء من هذا الوقت يزداد أثره .

وبانضمام البارجتين انفلكسيل وتمير إلى هذه البوارج الثلاث أمكنها اسكات حصون رأس التين والفنار والاستبالية فى منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر . غير أن مدفعا واحدا من مدافع حصن الاستبالية لم يسكت ولم ينقطع عن الضرب إلا فى الساعة الخامسة مساء . وقد أصابت قنابل هذه البوارج سراى الحرم بقصر رأس التين فالتهمها النيران فى الساعة العاشرة مساء .

قال القومندان جودريتش إن جنود المدفعية المصرية جاوبوا نيران الاسطول الانكليزى الجهنمية بحلوة مدعشة لم تكن متطرة بتاتا وأظهروا بسالة عجيبة رغم التفلات الجسيم الذى بينهم وبين الانكليز من ناحيتى عدد المدافع وعيارها .

ولقد كانت البارجة انفلكسيل عندما تطلق مقنوقاتها التى وزن القذيفة منها ١٧٠٠ رطل على حصن الفنار وتصطدم بساتره تثير النقع والنبهار والشطابا إلى ارتفاع الفنار نفسه . ويتخيل المرء

عندما يرى ذلك أن ليس في استطاعة أحد من البشر أن يعيش تحت هذه التيران ولكن عندما يتفشع العثير بعد بضع دقائق يرى جنود المدفعية المصرية في مواقعهم يطلقون القنابل على خصمهم الرهيب . اه وعقب منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر عندما أسكتت مدافع المدرعات الثلاث سلطان ، وسورب ، والكسترا مدافع الحصون الثلاثة المذكورة ، اتجهت نحو حصن الأطة ، ويظهر أنها كانت تعتقد أن قوتها لا تكفي للتغلب عليه ، ولذلك طلبت من المدرعتين انقلكسيل وتمير أن تأتيا لمشاركتها في ضربه . فصوبت هذه المدرعات الخس نيرانها دفعة واحدة إلى هذا الحصن المتكود الذى دافع عن نفسه دفاعا عجيبا أمام غارة البوارج الخس التى هي أقوى سفن الأسطول الانجليزى . وسلك قائد هذا الحصن الذى لم أوفق لسوء الحظ إلى معرفة اسمه فى قيادته سلوكا باهرا غاية فى البسالة والاقدام . وقد شهد له بذلك شاهد العيان الكابتن وولتر جودسول Walter Goodsall قومندان الباخرة تشلترن Chiltern إحدى سفن شركة التلغراف الشرقية ، الاسترن تلجراف Eastern Télégraphe Cie الذى كان حاضرا هذه الواقعة فى ذلك اليوم . وهذا ما قاله :-

لقد عجبت من هذه البطولة التى لا يمكننى أن أدرك كنه كيفيتها والتى كانت تتحلّى بها الجنود الذين يطلقون مدافع حصن الأطة ، كما عجبت أشد العجب من الموقف الذى وقفه قائد هذا الحصن قرب سارية عليه وهو بمفرده والمنظار فى يده ينظر منه الأثر الذى أحدثته المقنوفات

التي كانت تطلق .

لقد كان حقاً رجلاً شجاعاً مزدرباً عدد المقذوفات التي كانت تلقى على حصنه ذلك الحصن الذي كان يجاوب هذه المقذوفات باطلاق مقذوفاته كلما مرت عشر دقائق . ثم رفعت البارجة انفلكسيل مرسانها وشرعت تصوب قنابل مدافعها الضخمة الى هذا الحصن . ويظهر أنها دكت أسسه ودمرته تدميراً . وفي منتصف الساعة الثانية بعد الظهر سددت قبلة الى مستودع بارود وولابد أنها أصابته ودخلت فيه لأنه انفجر في منتصف الساعة الثالثة ونسف ، ولا بد أيضاً أنه قتل جنود كثيرون في هذا الحصن لأن عدداً كبيراً منهم طار في الفضاء والضابط الذي كان واقفاً فيه وقفه الأسد في عرينه طار في الهواء هو وسارية عليه . اه

* * *

هذه كانت خاتمة ذلك البطل الصندبد وجنوده البواسل وبعد هذا الانفجار أخلت الحامية حصن الاطلة ورحلت عنه .

وقد اتجهت المدرعات الخمس على أثر تدميرها حصن الاطلة نحو قلعة فاروس (قايتباي) وظلت تصلية بنيرانها الى الساعة الخامسة مساءً أي الوقت الذي أعطى فيه الأميرال الاشارة بإيقاف الضرب . وقد أصيبت هذه القلعة بأتلاف جسيمة ولكنها مع ذلك لم تسكت عن اطلاق مدافعها سكوتاً تاماً واستمرت ترمي مقذوفاتها الى أن صدر الأمر بالكف عن اطلاق النيران .

حركات الأسطول الداخلى

كانت المدرعات الثلاث التى يتألف منها هذا الأسطول وهى أفليكسيل ، وبنلوب ، ومونارك بقيادة الأميرال سيمور مباشرة ، وكان علم هذا الأميرال معقودا على أولاهها وكان موقعها حسب تعليمات القتال شمال غربى المكس . وقد ألفت هى والثانية مراسيها على بعد يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ ياردة بينما الثالثة كانت تتنقل فى منطقة على بعد هذه المسافة عنها . وكانت مهمة هذه البوارج الثلاث مقاتلة حصون أم قوية ، والمكس ، والدخيلة ويعاونها فى ذلك البارجة أفليكسيل التى كانت ملقبة مراسيها خارج الممر الصغير وقننف النيران منذ ضحوة النهار من مدفعيها المنصوبين فى برج مؤخرتها والذين يزن كل منها ٨٠ طنا وكذلك كانت تعاونها البارجة تمرير التى كانت ناشبة (شاحطة) خارج ممر البوغاز . وكانت كلتا هاتين السفيتين تقاتل الحصون على مسافة قدرها ٣٥٠٠ ياردة تقريبا . وقد أصيب فى الساعة التاسعة صباحا مستودع البارود الذى كان خلف حصن الدخيلة بقذيفة من قذائف السفينة مونارك فتطاير فى الفضاء .

وعلى أثر ذلك أشار الأميرال إلى هذه السفينة بالاقتراب من الشاطئ . بقدر ما يسمح لها غاطسها لتسحق جنود المدفعية أو تطردهم من حول مدافعهم فأطاعت .

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة كفت هذه الحصون عن

الضرب فكفت السفن أيضا عن ارسال مقذوفاتها . ولكن قيل
الظهر أبصرت السفينة موناك جنودا انسلوا الى مدافع الحصون
فأمرها الأميرال هي وبنلوب أن ترسلا عليهم مقذوفاتها فأطاعتا
وانتهى الأمر بطرد هؤلاء الجنود من مواقعهم .

قال المايجور تلك Tulloch أحد رجال قلم المخبرات
وكان على ظهر السفينة انقسييل أمام حصن المكس ، في
كتابه (ذكريات أربعين عاما في الخدمة ص ٢٧٧)
Recollections of Forty Years Service . عن جنود مدفعية
حصن المكس ما نصه :-

لقد كان حقا من العجب العجيب أن أرى هؤلاء الجنود رغم
شدة الضرب واقفين في أما كنهم ملازمين لمدافعهم . وقد رأيت
أكثر من مرة قذيفة من قذائفنا تدخل في إحدى كوات مدافعهم
فقلت في نفسي لقد قضى على هذا المدفع وأمسى في حيز العدم .
ولكن لم ألبث بعد ذلك حتى قلت : كلا ثم كلا !! قد كان الجواب
من هذا المدفع يعود في الوقت اللازم وقد أتى مرة من المرات بسرعة
فاقمة جدا حتى لم أتمكن نفسي ووثبت الى حافة السفينة ورفعت يدي
صائحا : لقد أجدت العمل أيها الجندي المصري ١٠١ هـ

ثم رأت السفينة كندور أن حصن المرات يطلق مدافعه على
السفن الكبيرة ببعض الاحكام . فاقتربت منه وهاجمته لتحول دون

ضربه لها . ولما شاهد الأميرال فعل هذا الحصن أمر السفن الأربع الصغيرة أن تعاون كندور في هذا العمل ففعلت واسكتت الحصن .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر رأى الأميرال هذه الحصون قد أخلتها الجنود فأرسل إلى البر عشرين جنديا ليسمروا أو ينفخوا مدافع حصن المكس بالديناميت ففعلوا ورجعوا دون أن يصابوا بأذى . وهذا يدل دلالة واضحة على أن الجنود الليادة الذين كانوا في حراسة هذه المنطقة لم يقوموا بالواجب الملقى على عاتقهم وأهملوه اهـالا يستحقون عليه المؤاخاة .

وفي منتصف الساعة الرابعة (الساعة ٣١) أخبرت المدرعة بنلوب الأميرال بأن مدافع حصن القمرية تتأهب مرة ثانية للضرب وأخبرته أيضا المدرعة مونارك بعودة الجنود إلى حصن المكس .

فأمرهما بأن تسددا مقذوفاتهما إلى هذين الحصنين فصعدتا بالأمر وأخذتا تضربهما حتى منتصف الساعة السادسة مساء حيث أمر الأميرال بالكف عن الضرب في هذا الوقت . وهكذا انقضى ذلك اليوم المشؤم .

وقد بلغت خسائر الانكلز في هذا اليوم ٦ من القتلى و ٢٧ من الجرحى ، وسيأتى في تقرير الأميرال أن القتلى ٥ والجرحى ٢٨ قتل أحد الجرحى أدركته الوفاة ، أما قتلى المصريين وجرحاهم فيتمنر علينا معرفة عددهم بالضبط . وقد قدرهم استون باشا رئيس أركان الحرب العام بالجيش المصرى بنحو ٧٠٠ جندى .

والذخيرة التي استهلكها هذا الأسطول كان مقدارها جسيما حتى أن المدرعات الكبيرة كانت في آخر النهار قد استنفدت ذخيرتها ولولا وصول النقلة ممبر Humber في غد ذلك اليوم مشحونة بالذخيرة لتعذر على معظم سفن الأسطول الاستمرار في الضرب .

وهاك ما استهلكه الأسطول من أنواع الذخائر :-

٢١٩٨	من قذائف المدافع الكبيرة
٧١٠٠	من مظاريف مدافع السربند (متريلوز جاتلنج)
١٦٢٣٣	نوردقفلت , , ,
١٠١٦٠	بنادق مارتيني هنرى , ,
٣٧	الصواريخ (السوارىخ)

١٣١٨٥٦ رطلا , البارود

أما مقدار ما فقد من ذخيرة المصريين فقد تعذرت معرفته أيضا . ونورد هنا بعض الأخبار التي كانت تذيبها جريدة الطائف لصاحبها عبد الله نديم عن ضرب الاسكندرية على سبيل المثال للأخبار التي كانت تنشر على المصريين عن هذه الحرب ، وهي :-

يوم الثلاثاء ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ (١١ يولييه سنة ١٨٨٢ م) في الساعة ١٢ عرية (الساعة ٧ افرنجية) صباحا اطلق الانكليز النار على حصون الاسكندرية فردنا عليهم .

وفي الساعة ٢ عرية (الساعة ٩ افرنجية صباحا) غرقت مدرعة
أمام حصن الأطة .

وفي الساعة ٦ عرية (الظهر) غرقت سفيتان بين قلعة
قايتباى وحصن العجمي .

وفي الساعة ٧½ عرية (الساعة ٢¼ افرنجية مساء) غرقت سفينة
حرية من الخشب عليها ثمانية مدافع .

وفي الساعة ١٠ عرية (الساعة ٥ افرنجية مساء) أصيبت المدرعة
الكبيرة بقذيفة من قلعة قايتباى أتلقت بطارياتها فرفضت العلم الأبيض
إشارة إلى الكف عن اطلاق المدافع عليها . فامتنع الضرب من الجانبين
بعد أن استمر عشر ساعات متوالية . وتخربت بعض جدران الحصون
ولكنها أصلحت ليلا . والطلقات والقنابل التي اطلقت من الجانبين
بلغت نحو ستة آلاف وهذه أول مرة أطلق فيها عدد كبير من
المقذوفات مثل هذا في وقت قصير كهذا .

وما من جندي في العالم كان يستطيع أن يقف بثبات
في مركزه راجل الجأش أمام نار محدمة كما وقف المصريون أمام
فيران ٢٨ سفينة حرية مدة عشر ساعات .

* * *

هذه أمثلة من الأخبار التي كانت تذييها هذه الجريدة .
وهي كلها مفتراة وبالأأسف ، وليس فيها مقال ذرة من الصحة
الهم إلا الفقرة الأخيرة .

التلف الذى حل بالحصون

١ - حصن السلسلة - قذف هذا الحصن المدرعة تمرير
يضع قذائف محكمة بينما كانت تهاجم قلعة قايتباى ولم تجاوبه المدرعة
المذكورة . فبقى الحصن سليما بعد انتهاء القتال ولم يمس بسوء .

٢ - قلعة قايتباى - أصيبت واجهتها الشمالية الغربية لإصابات
شديدة من مقذوفات الاسطول . وتخربت حيطان ملاذها (كهفها) فى عدة
مواضع . ودخلت بعض قذائف الاسطول من كوائها المعدة لاطلاق
المدافع . وانفجرت فى داخل هذه القلعة فأوقعت أربعة من مدافعها .
وأتلقت ثلاثة مدافع أخرى بالانقراض التى سدت كوات
هذه المدافع ووقعت حركة مدفع عيار ١٠ بوصات من مدافع
بطارية الطبقة العليا من هذه القلعة بسبب انهيار أنقاض القصر العتيق
الذى كان هذا المدفع مستندا إليه . وقلبت إحدى قنابل الاسطول
مدفعا آخر عيار ٢٥ ستيمنرا من مدافع الطراز القديم .

أما الواجهة الغربية من هذه القلعة فقد دمرت عن آخرها
وضحت فيها ثغرة كبيرة كشفت المدافع وجعلتها فى العراء . فأصيب
اثنان من هذه المدافع وأصبحا لا يصلحان للعمل .

ولم تشترك مدافع الواجهتين الشرقية والجنوبية فى القتال ،
ولكن رغم ذلك سقط مدفعان من مدافع الواجهة الجنوبية بضربة جنية .

٣ - حصن الألة - لم تشترك واجهته الشمالية الشرقية

في القتال ولم تصب بضرر .

وقد أصيب أحد المتاريس المشرقة على واجهته الشمالية الغربية بنحو عشرين قذيفة ، منها اثنتا عشرة دخلت دخولا عميقا ولكنها لم تنفجر . والآخريات انفجرت انفجارا هائلا فأحدثت تلفا كبيرا . وأصيب فيه مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة فانقلب . وأصيب متراس آخر بقذيفتين أصابت أحدهما مدفعا من المدافع القديمة عيار ٢٥ ستمترا . واقتلعت قنبلة مدفعا من بطاريته الوسطى . وبطلت حركة مدفع آخر بسبب انسيار اقراض منحدره العلوى القائم عليه السائر على أثر اصابته بقنبلة .

وأصيت الواجهة الجنوبية منه بقذيفة مرت فوقه ففتحت ثغرة واسعة .

أما مستودع باروده الذى انفجر وكان انفجاره سىا فى اخلاء هذا الحصن فقد كان مقاما فى موقع غير صالح ولم يكن فيه أية وقاية .

٤ - حصن الاستبالية - أصيب هذا الحصن إصابات كثيرة فتعرب بناؤه فى نواح عديدة وخصوصا الناحية الشمالية ولكنه مع ذلك بقى يطلق مدافعه التى شوهد على أحدها بعد انقضاء المعركة أكثر من تسعة وأربعين أثرا من آثار قذيفات الشرائسل (وهى نوع من القذائف عشو بالرماس) . وكان بعض

هذه الآثار بل كثير منها يزيد عمقه عن ستيمتر .

٥ - حصن رأس التين - أصيبت بطاريتة الوسطى بقذائف كثيرة كان بينها سبع قذائف دخلت من كواته . وأصيب مدفع من مدافعه من طراز أرمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة حطمت محور عجلته فأفسى غير صالح للاستعمال . وأصيب مدفع آخر من طراز أرمسترونج عيار ٩ بوصات في قاعدته وصار أيضاً غير صالح للاستعمال لانهار أنقاض كوته .

وأصيبت بطاريات برجه بست قذائف دخلت من كواته وأصابها مدفعان من طراز أرمسترونج غير أنه بقي مع هذه الإصابات يوالى الضرب . وأصيب مدفع آخر من طراز أرمسترونج أيضاً بقذيفة انفجرت في وسط عجلته فصرته غير صالح للاستعمال . وتفكك مدفعان من البطاريات الوسطى أحدهما حدث تفككه من رجوعه الى الخلف ، والآخر على أثر إصابته بقذيفة .

٦ - حصن الفنار - أصيبت الواجة الغربية منه بعطاب شديد من نيران الأسطول الخارجى . فقد انصدمت هذه الواجة بقذيفتين أحدهما فيها ثفرة عرضها ٥٠ سم من الأمطار وعقبها ١٥٠ سم من الأمطار . وحفرت أربع قذائف ثقوباً قطر استدارتها نحو ٢٥٠ سم من الأمطار . وصدمت أربع قذائف أخرى الكوات (المزاغل) . وأصابها قذيفة اطلقت في اتجاه منخفض ، قة السائر فأطارتها على

طول ٣٦٠ من الأمتار . وحدثت أربع عشرة قذيفة أضراراً غير خطيرة . وانقلع مدفع على أثر نزاجعه . وأصيب مدفعان من القذائف بعطب شديد وأمسيا غير صالحين للاستعمال فقد انفجرت قنبلة تحت أحدهما قنبلته ، وحطمت أخرى أوتاد المدفع الثانى وقنبلته أيضاً . وكف مدفع آخر عن الضرب على أثر تخريب كوته . وأصيب مدفع من طراز أرمسترونج بضربة عكسية صيرته غير صالح للاستعمال .

٧ - حصن صالح أغا - هاجت هذا الحصن الواقع فى الداخل المدرعان موناك وبنلوب فترة يسيرة فى آخر النهار وأصابت ستائرهُ بأضرار طفيفة وتفكك مدفع قديم من مدافعه .

٨ - حصن أم قبيبة - قامت بمهاجمته المدرعة انفلكسيل وهى على بعد ٣٥٠٠ متر منه وقد عادت عليها بمهاجمتها له بالفائدة إذ أصابه ثلاث عشرة قذيفة ألحقت به أضراراً جسيمة - صدمت اثنتان منها منحدر جدار الخندق الخارجى فألقت فيه كتلة من الأتقاض تمكن الانسان من النزول فيه بسهولة . وصدمت اثنتان أخريان جدران الخندق من ناحية الحصن وفشت كلتاهما قبا يمكن الدخول منه . واثنتان حفرتا عند انفجارهما الذى كان على عمق كبير فى أرض الساتر قهوباً قطرها ٥ أمتار وعمقها ١٥٠ من الأمتار . وصدمت اثنتان الساتر بالقرب من الكوات من جانب السطح وصيرت احدهما أحد المدافع غير صالح للاستعمال . وألحقت الخس القذائف

الأخرى بالحصن خسائر أقل جسامه كان من بينها أيضا خرتان يتراوح قطر الواحدة منها بين ٢ و ٣ أمتار وعمقها ١٥٠ من الأمتار ، كما أن الأحجار والآتربة التي ثرتها القذائف غطت المدافع وقصمت قبله مدفعاً عيار ١٦ ستيمنرا نصفين . ومدفع آخر سقط عند نراجعه .

ووجد في فناء هذا الحصن عدد كبير من المقذوفات لم ينفجر .

٩ - حصن المكس - تفكك مدفع من مدافعه المنصوبة حول برجه على أثر إصابته بقذيفة ، وسقط مدفع آخر عند تفهقره . وأصيت بطاريته الوسطى المؤلفة من مدفعين ضخمين من طراز ارمسترونج بنحو اثني عشرة قذيفة . وأهم الخسائر التي أحدثتها هذه القذائف ثلاث حفائر قطر كل منها نحو ٣ أمتار . وأصيت بطاريته الأخرى بانبعاث بعض المقذوفات . أما مبانيه القائمة في الخلف فهي التي لحقها التلف أكثر من غيرها من جراء ضرب السفن .

وكان داخل هذا الحصن بعد المعركة مفعلاً بالأحجار . وإنه ليتعذر على المرء أن يدرك لِمَ لم يسقط مدفع مامن مدافعه في غضون المعركة رغم قصر المسافة التي كانت بينه وبين البوارج الحربية ورغم قربها الفناء التي أصلته بها . غير أن المدرعة بنلوب أسقطت بعد ذلك مدفعاً واحداً فقط لم تتمكن من إصابته إلا في الطلقة الثالثة عشرة .

وأصيت مدافعه الأخرى بشظايا المقذوفات فلم تلحق بها
إلا أضراراً تافهة . وبعد جلاء جنوده عنه نزلت شرذمة من الجنود
الانكليز إلى البر ومعها أدوات النصف (طريد) ونسفت مدفعيه
الضخمين وسمرت مدافعه الأخرى .

١٠ - قلعة المكس - أطلقت على حيطانه مقذوفات
كثيرة العدد وقد تركت بها آثاراً واضحت أحداها بالقرب
من مؤخرة مدفع أرمسترونج وأصاب جنود المدفعية ولكن لم
يحدث ضرر كبير للمدافع ولا للتحصينات .

١١ - حصن الدخيلة - لم ينله ضرر ما غير أن مدفعين
من مدافعه انقلبا عند تفجيرهما . ومستودع البارود الذي كان خلفه
أصيب بقذيفة ونسف كما ذكرنا ذلك آنفاً

١٢ - حصن المراتب - كانت مهمة ركنه الذي في الشمال
الشرق أن يقاوم السفينة كندور وسفن المدفعية . وقد أصيب
منحدره بنحو عشرين قذيفة تركت فيه آثارها غير أن الأضرار التي
حدثت كانت طفيفة . وأصاب واجهته الشمالية الشرقية بعض
مقذوفات من السفن التي كانت في الخليج الداخلي كانت أكثرها من
مقذوفات المدرعة موناك ولكن المدافع التي بهذه الواجهة لم ينلها ضرر .
واشتعلت النار في بناية صغيرة بالقرب من مستودع كبير يجاوز
ارتفاعه ارتفاع سائر هذا الحصن به مقدار كبير من الذخيرة ولكن
النار لم تمتد إليه . ووجد بفناء هذا الحصن عدد كبير من

المقنونات لم ينفجر .

١٣ — حصن المعجمى — هذا الحصن لم يشترك فى القتال .

خسائر الأسطول

١ — المدرعة سلطان — أصيبت بثلاث وعشرين قذيفة وكانت إصابات مدختها وسارياتها شديدة وأصاب بعض هذه القذائف زرعها (درعها) فى موضعين وقد أحدثت واحدة منها فى أسفل قنطرة بطارياتها شرخا يبلغ ٥٤ ستيمترا . واخترقت قذيفتان أو ثلاث جدرانها غير المدرعة وكان عند قتلها اثنين وجرحاها ثلاثة .

٢ — المدرعة سورب — فاق خائر هذه المدرعة خسائر اخوانها . فقد أصيبت فى جدرانها بعشر إصابات . واخترقت قذيفتان درعها . وفى أحد مواضع اصابتهما انزعجت القذيفة عند انفجارها جزءا من درعها . وكذلك أصيبت مدختها .

٣ — المدرعة اثنى عشر — أصيبت بثلاث عشرة قذيفة فى جدرانها وآلاتها . واخترقت ست منهن الجزء غير المدرع منها .

٤ — المدرعة الكسندرا — أصيبت بثلاثين إصابة فى جدرانها وآلاتها . وبأربع وعشرين إصابة اخترقت جدرانها فى أجزائها غير المدرعة فأحدث بها اضرارا بالغة فى القنطرة الداخلية وفى غرفها

وغيرها . وأصابها أيضا قذائف وقنابل كثيرة في الجزء المدرع منها ولكنها على كثرتها لم تحدث فيه ضررا يذكر . وتلف مدفعان من مدافعها دون أن يصابا من جراء كثرة استعمالهما في الضرب . أحدهما عيار ١٠ بوصات أو ٢٥ ستيمترا ووزن ١٢ طنا والآخر عيار ١١ بوصة أو ٢٧ ١/٢ ستيمترا ووزن ٢٥ طنا . أما خسران جنودها فقتيل واحد وجريحان .

٥ - المدرعة بنلوب - سقط أحد مدافعها وجرح من جنودها اثنان .

٦ - المدرعة اقلكسيل - أصيبت بقنبلة في جزئها الخلفي (تحت خط الماء) من مدفع من طراز ارسترونج عيار ١٠ بوصات وهو أكبر عيار في مدافع الحصون المصرية . وكادت هذه الإصابة تفرقها لولا اسعافها . وقد ذهبت بعد المعركة إلى مالطة لاصلاحها . ولم تذكر إصابتها هذه في التقارير الرسمية التي قدمت للحكومة الانكليزية بل عمل عنها تقرير سرى للأمرالية ولم يذع . وكانت خسران جنودها قليلا واحدا وجريحين .

* * *

تقارير الأميرال سيمور عن ضرب الحصون

وقد رفع الأميرال سيمور ثلاثة تقارير عن ضرب حصون الاسكندرية في ١٤ و ١٩ و ٢٠ يولي سنة ١٨٨٢ . وهما هي :-

(١)

من ظهر البارجة افنسييل في ١٤ يولييه سنة ١٨٨٢

إلى سكرتير الاميرالية

سيدى

لى الشرف بأن التمس منكم أن تفضلوا وتخبروا اللوردات
مندوبى الاميرالية أتى لم آمكن فى هذا الوقت مع الأسف من
ارسال تقرير مفصل عن الهجوم على حصون الاسكندرية بسبب
انشغالى بهذه المهمة الشاقة .

انه بسبب اخفاق فى طلب الترضية عن المسائل التى كنت
كلفت بطلبها من حكومة مصر ، هاجمت فى ١١ الجارى البطاريات
المنصوبة على واجهة الاسكندرية الشمالية والاستحكامات المقامة فى
الشمال الغربى ونجحت فى اسكات الحصون فى منتصف الساعة
السادسة مساء وهو الوقت الذى اعطيت فيه الاشارة بالكف عن الضرب.

وفى صباح يوم ١٢ ثانى يوم الضرب أمرت تمرير
واقفل كسيل بأن تهاجم حن فاروس . وبعد اطلاق مدفعين أو
ثلاثة رفع علم الهدنة على حن رأس التين فأرسلت عندئذ
ضابط أركان الحرب الاونورايل هدورث لامبتن Hedworth Lambton
وكلفته باستجلاء السبب . ويؤخذ من تقريره أن كل ما فى
الامر خديعة تافهة عملت لاكتساب الوقت بلا مراء . وبما أن

المفاوضات قد فشلت لأن طلي هو تسليم البطاريات الحاكمة على عمر البوغاز - أطلق مدفع على سطح بطاريات ثكنات (قنلات) المكس . وعندئذ رفع علم الهدنة مرة أخرى . فأرسلت ضابط أركان الحرب المذكور ومعه القومندان مورسن Morrison إلى الميناء على ظهر السفينة هلكن . ولما ذهب إلى يخت الخديو (المحروسة) وجد أن طائفة هذا اليخت قد رحلت وعند إيايه بعد دخول الليل أعلن أنه يعتقد أن المدينة أخليت من السكان .

وامس صباحا توغلت في الميناء على ظهر البارجة افنسيل ومعي المدرعتان بنلوب ومونارك وأزلت إلى البر فرقة لتضع يدها على رأس التين .

وأراني متأسفا لاضطرارى أن أخبركم أن مدينة الاسكندرية أصيت بأضرار بالغة من الحريق والنهب .

وفي الساعة الرابعة وهـ دقيقة بعد الظهر وصل نحو الخديو إلى سراى رأس التين وخصصت لحايته ولاحتلال شبه الجزيرة سبعة بحار .

وفي العشية نزلت فرقة من البحارة إلى البر ومعه مدفع من طراز جاتلنج Gatling فظهرت بعض الشوارع من العرب الذين كانوا يحرقون بيوتها وينهبونها .

ويجب على أن أعرب عن اعجابى الزائد بالسلوك الذى سلكه الضباط ورجال الأسطول عند تأدية مختلف مهامهم وأن

أتى عليهم الثناء الجم . وأخص منهم بالذكر الكابتن ولتر هنت جرب
ربان المدرعة سلطان وهو أقدم الضباط وقائد الأسطول الخارجى
ولقد قاتل المصريين قتال الأبطال بأقدام ثابتة وكانوا
يجاوون النيران الشديدة التى تصبها على حصونهم مدافعنا الضخمة
الى أن قتل عدد كبير منهم .
وسأرسل عما قريب على قدر الامكان تقريرا مفصلا
وأحبه بصور المراسلات .

وتجدون صحة هذا بيانا بعدد القتلى والجرحى .
ولى الخ . . . ٩
بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القواد

قائمة القتلى والجرحى فى هذا القتال

القتلى	الجرحى
عدد	عدد
١	٢
اتقلكسيل	اتقلكسيل
١	٣
الكسترا	الكسترا
١	١
سويرب	سويرب
١	٨
سلطان	سلطان
٢	٦
سلطان	افنسييل
٥	٨
	بنلوب
	٢٨
	٩
	بوشامب سيمور

(٢)

من ظهر السفينة هلكن في ١٩ يولييه سنة ١٨٨٢

الى سكرتير الاميرالية

سيدى

لى الشرف أن ابث لكم بالتفصيلات الآتية ليحيط اللوردات
مندوبو الاميرالية بها علما .

انه عندما ورد لى تعريف (صورته طيه) من اللفتان
سمت دورين Smith - Dorrien مضمونه أن مدفعين سيتصبان عما
قريب فى حصن السلسلة ، أرسلت بلاغا الى قائد الاسكندرية
الحربى أعلته فيه بأنى سأضرب الحصون عند شروق شمس يوم ١١
إن لم تسلم لى قبل هذا الوقت البطاريات المقامة على برزخ رأس التين
وساحل الاسكندرية الجنوبى لأعطلها وبهذه الوسيلة أكون قد
نفذت تعليمات اللوردات التى وردت الى فى ١٠ الجارى .

وفى الصباح المبكر من يوم ١١ شوهدت السفينة هلكن
متجهة نحو المدرعة افشيسيل التى كانت راسية فى عمر البوغاز ويخفق عليها
على . وفى منتصف الساعة السابعة صباحا أخبرت هلكن بالاشارات
أن على ظهرها ضباطا من المصريين يرغبون الاتصال بى . وقد
قدم هؤلاء الضباط إلى بارجتى وم ياور درويش باشا واثنان من
المصريين وسلبونى خطابا من سعادة راغب باشا رئيس مجلس

النظار وناظر الخارجية (صورته طيه) يقول فيه انه مستعد لانزال ثلاثة مدافع فأخبرتهم أنه من المستحيل قبول مثل هذا الاقتراح وأرسلت إلى سعادته الرد بهذا المعنى (صورته طيه) .

ولما تيقنت أن الضباط وصلوا إلى البر آمنين أمرت بإطلاق النار على الحصون فأتى الرد حالا بشدة من خطوط المكس ومن البطاريات المنصوبة على الطوابى التي وراء الشموب التي بجانبى البوغاز ، ومن رأس التين ، ومن حصن الألة وفاروس .

ولما ظفرت بإسكات الحصون في منتصف الساعة السادسة مساء أعطيت الإشارة بالكف عن إطلاق النار .

وفي الصباح الباكر من يوم ١٢ بعد أن صوبت طلقتين أو ثلاثا على حصن فاروس رفع عليه علم الهدنة وعندئذ أرسلت ضابط أركان الحرب الاونورايل هدورث لامبتن الى الاسكندرية ليستطلع السبب في رفع هذا العلم وزودته بتعليمات (صورتها طيه) فخاها أن يطلب بالنيابة عنى تسليم البطاريات المظلة على بحر البوغاز . وتجندون طيه اجابته التي لاتدع شكا في أن الغرض الوحيد من ذلك لم يكن إلا حيلة لاكتساب الوقت . وعلى أثر ذلك نزلت الرابطة .

وصوبت طلقة أخرى على المرتفعات القائمة عليها بطاريات ثكنات المكس فارفع العلم مرة أخرى فأرسلت اللفتانت هدورث لامبتن والقومندان مورسن من ضباط السفينة هلكن الى يخب

المحرسة الخاص بسمو الخديو فلم يثرا على أحد فيه وأعطيا إشارة بأن المدينة أخليت . ولما رجعت هلكن كان الليل قد أرخى سدوله . وعندما أشرقت شمس اليوم وأخذ الأسطول يتحرك دخلت الميناء فبينت أن النار كانت مشتعلة في مواضع شتى من المدينة ومن جعلتها سراى الحريم في قصر رأس التين وأن الجنود أدخلت الحصون . ووقتها علمت من مصدر يوثق به تمام الوثوق أن جنود عرابي لم تخل المدينة بل ذهبت للاقامة قرب عمود السوارى لتتظرنا على مايقال هناك رأيت أن من واجباتى استعمال الحكمة فأزلت فصيلة من المدرعة افنسييل وأخرى من مونارك بقيادة الكابتن فيرفاكس Fairfax بقصد تسمير أو نفس المدافع المنصوبة بين القبارى وصالح وهى المدافع التى كانت تصوب طلقاتها على الميناء . وكان هذا العمل منى من الاحتياطات الأولية .

وفى خلال القيام بهذه الاحتياطات أرسلت سفن المدفعية الى المدرعات الراسية خارج الشعوب المجاورة للجانبى البوغاز لتستحضر منها عساكر البحرية فاحتلت سراى رأس التين نفسها وسمرت عددا كبيرا من المدافع التى كانت تسد طلقاتها على سفتنا . وقيل هذا الوقت زارنى أحمد توفيق افندى ياور سعادة درويش باشا وبمعيته أمير الآلاى زهران بك ياور سمو الخديو وكان قادما من سراى الرمل الواقعة على بعد أربعة أميال تقريبا من الاسكندرية ليسألنى إذا كنت مستعداً لأن آخذ على عاتقى قبول الخديو لأن

الحالة تدعو الى الخوف على سلامته بسبب الاصابات الشائعة التي
تحيط به . فأظهرت في الحال استعدادى لبذل مايفيد سموه . وقيل
الساعة الرابعة مساء تشرفت باستقبال سموه عند باب السراى التى
لم تصب لحسن الحظ من نار السفن الا بضرر طفيف فى يوم ١١ .

الامضاء

ولى الخ ... ٩

بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القواد

(٣)

من ظهر المدرعة اقمشيل بالاسكندرية فى ٢٠ يوله سنة ١٨٨٢
الى سكرتير الاميرالية .

سيدى

الحاقا لبيانى المفصل والمؤرخ فى ١٩ الجارى أتشرف
بان أرفع لكم - لأحاطة اللوردات بما سيدكر بعد - تقريراً آخر
أكثر تفصيلا من البيان المذكور الذى تيسر لى ارساله عن القتال
الذى دارت رحاه بين الأسطول الذى تحت قيادتى والحصون المدافعة
عن الاسكندرية .

لقد سبق أن قررت كما يتبين من بيان ترتيب القتال
المصحوب بهذا والذي سلت منه نسخة إلى كل ربان أن أجمل الهجوم
قسمين - قسم تقوم به سلطان ، وسوبرب ، والكسندرا على جانب

رأس التين الشمالى وتعاونها فى ذلك المدرعة افليكسيل التى كانت راسية فى مدخل عمر البوغاز الصغير باطلاق مدافع برجها الخلقى حتى تستطيع بذلك اسكات بطاريات حصن القنار من الجنب . والقسم الآخر تقوم به افنسيل ، ومونارك ، وبنلوب من داخل الشعوب وتعاونها فى ذلك الافليكسيل باطلاق مدافع برجها الامامى وكذلك المدرعة تمرير التى اتخذت مقرها بجوار الشمندورة التى بواسطتها يستدل على مدخل البوغاز .

وانفصلت كل من السفينتين هلكن وكندور لأنها كاتا من سفن الاعادة . أما السفن يكن ، وبترن ، وسينت ، ودكوى فقد استخدمت حسب الأوامر التى كانت قد أصدرت إليها للأشارات طول يوم الضرب .

وفى يوم ١١ يولي فى الساعة السابعة صباحا أمرت البارجة الكسندرا بالاشارة من ظهر افنسيل أن ترسل قذيفة إلى الستائر الحديثة التى كان قد تم إصلاحها وسلحت ويقال لها بطارية الاستبالية وأردفت هذا الأمر باشارة عامة إلى الاسطول أن هاجموا بطاريات الأعداء . فتبادل الضرب فى الحال بين السفن وهى فى المواقف التى رسمت لها وجميع الحصون المشرقة على مدخل ميناء الاسكندرية واستمر اطلاق النيران بشدة من الجانبين ومن كل صوب وناحية إلى منتصف الساعة الحادية عشرة صباحا . وكانت المدرعات سلطان وسوبرب ، والكسندرا إلى هذه الساعة رافمة مراسها فالتفتها

في مياه حصن القنار . وبهذا تفهم المحسنة مع معاونة المدرعة انفلكسيل لها بعد أن رفعت مرساتها وانضمت إليها في منتصف الساعة الأولى بعد الظهر ، نجحت في اسكات معظم مدافع حصون رأس التين . ولكن بعض مدافع حصن الاطلة الضخمة بقيت مستمرة في الضرب إلا أنه كان ضربا غير متواصل . وقيل منتصف الساعة الثانية قذفت المدرعة سوپرب - وكانت حركاتها من بعد الظهر موقفة جدا - قبل على هذا الحصن فنسفت مستودع باروده فاضطرت بقية حاميته إلى الانسحاب حالا . وعندئذ وجهت هذه المدرعات قوتها إلى حصن فاروس فأسكتته بعد أن انضمت إليها في منتصف الساعة الثالثة المدرعة تمرير وكان ذلك عندما قذفته المدرعة انفلكسيل بقذيفة أوقعت مدفا من مدافعه الضخمة .

وكانت حركات بطاريات حصن الاستبالية من البداية الى النهاية تأسس بطريقة موقفة جداً . ومع أن هذا الحصن أسكت وقتاً ما على أثر ضربه بقذيفة من المدرعة انفلكسيل فإن جنوده لم يتخلوا عن مدافعهم إلا بعد أن أكرههم نيران مدافع هذه المدرعة والأسطول الخارجى على التخلي عنها .

والمدرعة اثنسييل التي يخفق عليها على بمساعدة المدرعة پتلوب وكانت الاثنان ملقيتين مراسيها غير أن الأخيرة غيرت مرساها في ظرف من الظروف . والمدرعة مونارك الطليقة داخل منطقة الشعوب . والمدرعتان انفلكسيل وتمرير الطليقتان في البوغاز ومدخل البوغاز الصغير ، قد نجحت كل هذه المدرعات بعد اشتباكها في

قتال دام بضع ساعات في اسكات بطاريات خط المكس وتخريب
جزء منها .

ودمر حصن مرمى القناة على أثر انفجار مستودع باروده
وبعد قتال مع المدرعة موثارك دام نصف ساعة .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر عندما شاهدت أن جنود
مدفعية البطارية المنخفضة التي في الجهة الغربية من المكس تركوا
مواقعهم وأنه من المحتمل أن يكون المساعدون انسحبوا إلى القلعة
أحضرت السفن والمدفعية وتحت حماية طلقات مدافعها أنزلت إلى
البر فصيلة مؤلفة من اثني عشر من الجنود المتطوعين بقيادة اللفتانت
برادفورد Bradford من ضباط المدرعة اقتربوا وبمعية اللفتانت
ريتشارد پور Richard poore من ضباط هذه المدرعة أيضا والفتانت
الانورابل هدورث لامبتن ضابط اركان الحرب والمايور تلك من الألاي
ولش الذي بأركان حرب أميراليتي والاسبران مستر هاردي Hardy .
وهؤلاء جميعا نزلوا في زوارق سارت بهم في وسط الأمواج وأتلفوا
مدفعين من نوع الششخانة عيار ١٠ بوصات بالديناميت وسمروا ستة
مدافع من الطراز القديم كانت مقامة بالجهة اليمنى من
المكس . ثم رجسوا ولم يخسروا الا زورقا من زوارق السفينة
بنرن تحطم على الصخور . وهذا العمل بعد ضربا من المخاطرة
ولكنه تم بمهارة فائقة .

وعند ما أضحى القتال عاما رأى القومندان لورد تشارلس برسفورد Lord Charles Beresford من ضباط السفينة كندور القائمة بوظيفة الاعادة أن مدفعين من مدافع حصن الم رابط من نوع الششخاته عيار ١٠ بوصات يصوبان قذائفهما الى السفن المحاربة التي أمام حصن المكس فاقترب بسفينة الى المسافة التي يتمكن منها مدفعها الذي عياره ٧ بوصات ووزنه ٩٠ قنطارا من اصابة الرمي وحول حالا وجهة ضرب المدفعين المذكورين . فأمرته وقتل أن يستمد معونة السفن يكن، وبترن، وسينت . وكانت سينت اشبتكت قبل الظهر بقليل مع حصون رأس التين .

وأراني سعيدا اذ أخبركم بأن هذه السفن لم تصب بأى ضرر وذلك بفضل ما أبدته من المهارة في مناوراتها . وقد سوغ لها قصر غاطسها - من حسن الحظ - أن تتخذ لها موقعا أمام أضعف نقط بطاريات الحصون .

وانتهت الحرب بالفوز في منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذي أقت فيها السفن مراسها لقضاء ليلتها .

ولو استعمل كل مدفع من المدافع المنصوبة على خط التحصينات لكانت القوة التي صادمتا أشد هولا وأكثر رهبة . ولكن بطاريات رأس التين استخضمت قليلا من المدافع من الطراز القديم وأقل منها من المدافع الفرنسية عيار ٣٦ . وهذه المدافع مشتراة من عهد محمد علي لأن المصريين يؤثرون استعمال المدافع الانكليزية عيار

١٠ و ٩ و ٨ بوصات . وأيضا المدافع الانكليزية الصغيرة من طراز الششخانة . وهذه المدافع هي بالضبط نفس المدافع المسلحة بها سفن جلالة الملكة . ولا يمكن العثور على أفضل من هذه المدافع بين المدافع التي تباع من فوهاها . وكانت المدافع المصرية مزودة بقذائف من أحدث طراز . واستخدمت ذخيرتها بكثرة لدرجة الاسراف . وكان تصويب المدافع يدعو الى الاعجاب ويمكن أن يقال ذلك أيضا عن مدافع خطوط المكس لولا أنها استخدمت أكثر المدافع من عيار ٣٦ ومدفعا أو اثنين من عيار ١٥ بوصة من طراز الششخانة فضلا عن المدافع التي من عيار ١٠ و ٩ بوصات والمدافع الصغيرة الششخانة .

واستعمل حصن المراتب مدفعين من مدافع الششخانة ذات الرمي البعيد عيار ١٠ بوصات وكان كل واحد منها يرمي قذائفه نحو الآخر في اتجاه الاسطول الراسي قريبا من الشاطئ والمصطف بكيفية تدعو الى الاعجاب فتخطى الرمي بمسافة تتراوح بين ١٠ و ٣٠ ياردة .

ولم تنفجر أية قنبلة من القنابل التي قذفها بطائرات الجنوب على ظهر سفن صاحبة الجلالة في خلال اليوم . وتجدون صحة هذا تقريرا رسميا مقدما من الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان لمرضه على أصحاب السعادة الأميرالية . وقد تولى هذا الكابتن قيادة الاسطول الخارجى قدام بهذا السبب بكفاءة وجدارة تستوجب الاعجاب . فقد تلقى هذا الاسطول ويلات الحسب كما يؤيد ذلك تمام التأيد البيان

الذى مع هذا الخاص بالأضرار التي لحقت المدرعات سلطان،
وسوبر، والكسندرا . وليس لدى ما أقوله عن الأضرار التي حلت
بالمدرعة بنلوب . فهذه البارجة انفصلت عن اسطول بعد أمد قليل .
والجزء العلوى من بناء المدرعتين اثنسكيل وافلكسكيل أصابه أكثر
من قذيفة غير أنه لم يترتب على ذلك ضرر جسيم .

وأراني عاجزاً عن أن أوفى جميع الضباط الذين قادوا
السفن ما يستحقونه من المدح والثناء على ما أولوني من المعونة في
هذه الظروف ويجب على أن أخص بالشكر الكابتن هنت جرب
الذى قام بقيادة الأسطول الخارجى والذى أريد أن ألفت إليه
أظهار أصحاب السعادة الأميرالية . ويسرى أيضاً أن أشكر الكابتن
توماس وورد Thomas Ward من ضباط المدرعة سوبر والكابتن
تشارلس هوتام Charles Hotham من ضباط المدرعة الكسندرا وكلا
الاثنين تابع للأسطول الخارجى . والكابتن هنرى فكلسن
Henry Nicholson من ضباط المدرعة تمبرر . وجون فشر
John Fisher من المدرعة افلكسكيل ، الذين أدوا خارج البوغاز
الأعمال التي عاونوا بها الأسطول الواقف بجوار الساحل وساعدوا
بعد ذلك على الهجوم الموجه نحو الشمال . والكابتن هنرى فيرفاكس
Henry Fairfax من ضباط المدرعة مونارك ، والكابتن سان
جورج دارسى إرفين St. George D'Arcy Irvine من ضباط
المدرعة بنلوب ، وروبرت مورملنو Robert More Molyneux للسلك

الذى سلكوه فى تأدية واجباتهم على اختلافها .

والقومندانان جورج هاند George Hand أقدم الضباط الذين فى رتبته ومن ضباط يكن . ولورد تشارلس برسفورد من ضباط السفينة كنتور . وتوماس براند Thomas Brand من ضباط بترن . والفتنانت هنج ريدر Hugh Ryder قومندان السفينة سينت . وهذا الضابط له فى الخدمة أكثر من ١٥ سنة . والفتنانت ارثر بلدرو Arthur Boldero قائد السفينة دكوى . وجميعهم ضباط جديرون كثيراً بالترقية . والمهمة التى أقيمت على عواتقهم قبل الحرب وبعد الحرب كانت شاقة جداً . إذ من المعلوم أنهم قاموا بالمواصلات بين السفن الواقعة داخل وخارج منطقة الصنور . وكثيراً ما كانوا يقومون بهذه الخدم فى جو مكفهر وفى أثناء الليل حيث تستدعى الحالة مزيد الانتباه فى المناورات والمعرفة التامة بإدارة السفن .

كما يهجنى أن أدلى باسم الفتنانت ولیم مرسن William Morrison من ضباط السفينة هلكن . فلقد تعرض هذا الضابط أكثر من مرة لنيران بطاريات الشمال حينما كان يمدد الإشارات التى كنت أعطيها وهو على ظهر سفينة لم تب تأغراض حرية وعلى العموم أرى نفسى مدينياً لضباط وجنود الأسطول بوجه عام فأنهم كلوا هذا الكفاح بالنصر وختموه ختاماً سريعاً . ولقد لفت نظرى بوجه خاص الكابتن هوام من ضباط

المدرعة الكسندرا الى عمل مجيد قام به مستر اسرائيل هاردنج Israel Harding من جنود مدفعية الكسندرا . ذلك انه رفع قذيفة ملتبة عيار ١٠ بوصات اخترقت جنب السفينة وسكنت في القنطرة الرئيسية ووضعتها في وعاء الماء ، الأمر الذى لولاه لكان من الجائز أن تنفجر وتودى بحياة عدد كبير من الجنود . وقد لفت نظرى أيضا إلى سلوك القومندان الان توماس Alan Thomas من المدرعة الكسندرا الجدير بالمدح والثناء طول هذا اليوم . وانى لوائى كل الوثوق بأن هذا الضابط وهسكنز Hoskins قومندان أركان حرب السفينة التى يخفق عليها على . وهو الذى كتب عنه الكابتن هنت جرب تقريرا . نعم . انى لوائى أن هذين الضابطين لا يتأذبان من غيابة الاضطرارى عن هذه السفينة . وكافة الراباين يوجهون عبارات المدح المستطاب والثناء الجمل الى ضباطهم والى الملاحين لحسن سلوكهم .

ويستحيل بالكلية أن آين بالتفصيل الأضرار الطفيفة التى حلت بسفن جلالة الملكة فى خلال هذا الكفاح من القذائف والطلقات التى أصابها أو أفصل كذلك العطب الذى منى به جسم البوراج سورب ، وسليمان ، والكسندرا ، ولاعطب المدرعات اقنيسيل وبنلوب ، واغلكسكيل الذى هو أقل أثرا من عطب الثلاث الأول ولكنى أستطيع أن أعرب عن شديد أسنى لوفاة اللقتانت فرنسيس جاكسن Francis Jackson ومستر وليم شنن William Shannon

نجار المدرعة افلكسيل . ويؤخذ من الأخبار الأخيرة عن الجرحى أن حالتهم آخذة في التحسن وقد أرسلوا الى مالطة على ظهر الباخرة همبر .

وتجدون صحة هذا قائمة بأسماء فضيلة المتطوعين التي قامت بتسمير مدافع بطاريات المكس وكذلك أسماء ملاحى الزوارق .

بطولة رجال المدفعية المصرية

لقد أبدى كل الذين كتبوا عن حادث ضرب الاسكندرية الأليم بالاجماع ثناءهم ، على رجال المدفعية المصرية لما أظهروه في ذلك اليوم من البسالة والشجاعة في كفاح قوة لاتناسب بينها وبينهم . واتفق لم أشأ هنا أن أذكر في التوبة بفضلهم إلا ما ذكره شهود العيان ومن بينهم خصومهم الذين حضروا القتال وشهادة هؤلاء جميعا أوجه بالطبع من شهادة الذين لم يشهدوا هذه الحرب .

فلقد كان الانكباب يتخيلون قبل الدخول في هذه الحرب كما اعترفوا بذلك فيما بعد أن اسكات الحصون أمر هين لين . وهذا الاعتراف يهدم غلوفهم على سفنهم من أساسها ، تلك المخاوف التي طالما ادعوها وتشبثوا بها . ولكن المقاومة التي لاقوها والاثبات الذى أبداه جنود المدفعية المصرية في ملازمة مدافعهم واستماتتهم بجانبها كل هذا أدهشهم وجعلهم ينطقون بالرغم منهم بالمديح المستطاب والثناء العاطر على هؤلاء الجنود الأبطال .

وأبدأ هذه الشهادات بشهادة الأميرال سيمور نفسه الذى قال فى تقريره المؤرخ فى يوم ١٤ يولييه سنة ١٨٨٢ للأميرالية البريطانية :-
لقد قاتل المصريون قتال الأبطال وثبتوا فى مواقعهم ثبات الشجعان وكانوا يجاوبون النيران الشديدة التى كانت تصبها عليهم مدافعنا الضخمة الى أن قى بلا شك أكثرهم . ١٠ هـ

وقال القومندان هنت جرب قائد المدرعة سلطان وقائد الأسطول الخارجى فى تقريره للأميرال سيمور :-

ولما وجدت أن الحصون أقوى مما كان يظن قبلا وأن جنود المدفعية المصرية لا يسهان بهم وانهم فى الواقع يحكون الضرب ، رأيت من الصواب أن ألقى المراسى لكى احصل على المسافة اللازمة بالدقة . ١٠ هـ
وقال القومندان جودريتش من رجال البحرية الامريكية الحرية الذى كان على متن السفينة الحربية الامريكية لانكاستر Lancaster ورأى كل ماحدث بعيني رأسه فى تقريره ص ٣٦ :-

وجاوب المصريون رغم التفاتوا الذى كان بينها من ناحية العدد ومن ناحية عيار المدافع على النيران المتدفقة من أفواه مدافع الاسطول الانكليزى اجابة مدعشة لم تكن متوقفة بتاتا بشجاعة تستوجب الاعجاب . وعندما كانت المدرعة انفلكسيل ترسل مقذوفات زنة كل منها ١٧٠٠ رطل على حصن القنار وتصيب سائرہ فتثير الانقاض والأتربة الى علو القنار نفسه ويتخيل المرء عند ما

يرى ذلك أنه ليس في الامكان أن يعيش أى انسان تحت نيران كهذه التيران ، لا يلبث بعد بضع دقائق عندما ينقشع الغبار أن يرى جنود المدفعية المصرية ملازمين مواقعهم يطلقون قناتهم على خصمهم الرهيب . ا هـ

وقال الماچور تلك من رجال قلم المخبرات (وترقى الآن الى جنرال) وكان على ظهر المدرعة انفسيل في كتابه (ذكريات أربعين عاما في الخدمة) ص ٢٨٦ :-

وبعد أن نزلت الى البر بمن يسير طفت حول البطاريات التي بقرب رأس التين فوجدت منظر البعض منها ينفطر منه الفؤاد وسمعت فيما بعد من مصدر وثيق أن الخسائر في الارواح من جنود المدفعية ومن جنود اليياده الذين كانوا خطف الحصون بلغت أكثر من ثمانمائة . وقد وسقت بالقتل العربات في أثناء القتال . ولكن لما كان عدد القتلى في نهاية الحرب كبيرا جدا فتحت لهم حفرة واسعة في رأس التين وألقيت أجسادهم فيها ثم ووريت في التراب . ومع هذه المواراة يستطيع الانسان في عدة مواضع من هذه المقبرة أن يرى الطبقة العليا من هذه الأجساد ظاهرة على وجه الأرض . وقد سقط سائر الحصن على بعض الجنود فأزرق أرواحهم وبقيت أجسادهم تحت الانقاض دون أن يستطيع أحد اخراجها . ووجدت جثة ضابط مصرى وجث ستة من الجنود المصرية البواسل تحت مدفع انقلب بقذيفة .

وعسى أنه لا يستطيع الا القليل من الناس أن يؤدوا واجبتهم مثل ما أداها أولئك الجنود الذين كانوا فى الحصون فى ذلك اليوم . وليس فى مقدور الانسان أن يخفى دهشته وإعجابه من أن هؤلاء الجنود فى الحالة التى كانت فيها النيران تحيفهم من كل جهة أرادوا أن يرفعوا أحد المدافع من سقطته الى سقطها . وفى حالة أخرى وهم فى معمة القتال حاولوا أن يرجعوا مدفا الى موضعه وهم تحت وابل من النيران .

وفى المكس كان يوجد سائر من الرمال ضيك تتوارى خلفه جنود المدفعية ولكن على طول امتداد البطاريات الشرقية لم يكن يوجد إلا ستائر عتيقة من الأحجار فى قليل من المواضع ، والاتقاض التى تقوضت منها لابد أن تكون قد أحدثت خسائر جسيمة فى الأرواح . ١٠

وقال البارون دكيوزل بك Le Baron De KuseI Bey وكيل مصلحة الجمارك المصرية الذى كان على السفينة تتجور أمام الاسكندرية فى كتابه (ذكريات رجل انكليزى عن مصر) ص ٢٠٠ :-

لقد ثبت جنود المدفعية المصرية فى مواقعهم أمام نيران المدفعات الانكليزية الهائلة الفتاكة ثباتا دل على بسالتهم وبطولتهم . وظلوا يلقون القنابل باستمرار فتصيب أهدافها من هذه البوارج . الى أن قال فى هذه الصفحة أيضا - وليست المسألة مسألة رية فى بطولة الجنود المصرية فلقد قاتلوا مستبشرين ، ولكن لم يكن لهم الا للمام التام بسلحهم ليجنوا من دفاعهم ولو بعض النجاح .

ولم ينقض الضرب إلا في منتصف الساعة الثانية عشرة صباحا (أى من يوم ١٢ يولييه) لأن المصريين اذا كان لديهم مدفع فى أى موضع لم يكن قد سقط ، استعملوه إلى أن يكره هذا المدفع على السكوت لإكراهها . ١٠ هـ

* * *

وقال مسيو سكوتيس Scotidis وكيل قصل اليونان فى الاسكندرية فى كتابه (مصر المعاصرة وعراقى باشا) ص ١٦٨ و ١٦٩ :-

وعند الطلقة الخامسة جاوبت بطاريات البر بنشاط وإحكام أدهشا الانكليز . وتقدمت البوارج الانكليزية ، تلك المدرعات الضخمة ، تسير يبطء واتخذت لها موقعا أمام الحصون وصوبت اليها نيران مدافعها فى مركز واحد . وقد كانت قذائفها الهائلة تدعو الى الظن بأنها ستدمرها تدميرا . ولقد كانت هذه القذائف تحطم المدافع الضخمة وتقلب قواعدها وتنسف مستودعات البارود وتحفر حفرا يقع فيها المصريون التماسا . وعندئذ تقرب شيئا فشيئا لتضعف قوة هؤلاء المصريين بقويس حصونهم بطوفان من قذائف مدافع السربند المقامة على ساريات السفن .

وكانت قذائف المدافع المصرية تسقط فى البحر وهى فى منتصف الطريق فتثير عجاج الماء . والبعض الآخر يصطدم بمدافع الانكليز الضخمة فيرتد عنها كأنها جسم من المطاط ويخوص فى

البحر . ومع هذا فلا ينبغي الا الاعجاب بما أبداه جنود المدفعية المصرية من البطولة والبسالة والثبات في مواقعهم وراثه أولئك الضحايا الذين راحوا طعمة لثأر بطيش عرابي ورعوته وبجراته التي أظهرها عبثا . وكان معظم الحصون بلا سائر قلبت القنابل من مدافعها ما كان أكثر قوة وأعظم خطرا وأحاطتها بالمتات من جثث القتلى . وفي خلال انتشار الدخان الكثيف الذي يسوقه النسيم في بعض الأوقات كان هؤلاء الجنود الشجعان الذين كانوا يستطيعون أن يخدموا وطنهم في ظروف أخرى ، يمثلون بحق الأبطال الذين يدفعون غارات الجبابرة . ١٥

هذه شهادات كلها صادرة من شهود عيان معظمهم من الحصوص وانها لأقوى برهان على أن ضباط وجنود ١ جى ألاى طوبجية سواحل قاموا في ذلك اليوم الأسود المشنوم بما هو فوق الواجب فاستحقوا بذلك أكبر التقدير مع تخليد الذكر وعظيم الشكر . رحمهم الله وعزانا وعزى هذا الوطن الأسيف فيهم .

ولإزاء ما قام به هذا الألاى من ضروب الشجاعة والأقدام والأخلاص للوطن لدرجة التضحية بآخر أقاله في سبيل الذود عن حياضه ، رأينا تخليداً لذكرى أعمال ضباطه وجنوده المجيدة أن ثبت أسماء من عثرنا على أسمائهم منهم مع ذكر عددهم جميعاً في الجدول الآتى، وما هو كما استخرجناه من دفاتر دار المحفوظات المصرية :

۱ جی الای طوبجیة سواحل

عدد	الاسماء	الرتب
۱	اسماعیل بک صبری	أمیر الالای
۱	محمد بک نسیم	قامقام الالای
۱	عبد المال افندی ابو العلا	۱ جی بکباشی
۱	سیف النصر افندی	۲ جی د
۱	محمد افندی شری	۳ جی د
۱	رافت افندی سری	۱ جی صاغ
۱	صبجی افندی هاشم	۲ جی د
۱	محمد افندی رفعت	۳ جی د
۸		

أركان حرب وأطباء وكتاب وغيرهم

عدد		
۱	محمد افندی سید احمد	صاغ
۱	ابراہیم افندی کامل	د
۱	محمد افندی نافی	حکیمباشی الالای
۱	محمد افندی لمی	ملازم اول اجزجی
۱	محمد افندی حسب الله	د ثان تعلیمجی الاشارة
۱	محمد افندی محمد	کاتب اول الالای
۶		
۸		

۶ ماقبله (تابع أركان الحرب وغيرهم)

الرتب

الاسماء

۱ رضوان اقدى رضوان كاتب ثانی الألاى

۱ مصطفى اقدى الخولى , ثالث ,

۱ موسى اقدى الوردانى , رابع ,

۱ فرج اقدى عوض , الأشغال المتأخرة

۱ الشيخ محمد عبد المال امام وخوجه

۱ الشيخ عبد الله ابراهيم امام

۱۵ ۳ توقيجه

بلوك

عدد

۱ مصطفى اقدى محار يوزباشى

۱ احمد اقدى قنديل ملازم اول

۱ حسن اقدى مكى , ثان

۱ اسماعيل اقدى صبرى , ,

۱۲۹ ۱۲۵ صف ضباط وعسكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

۸۴ ۸۴ صف ضباط وعسكر

عدد	مابقله	بلوك
۲۳۶		عدد
	الاسماء	الرتب
۱	علی افندی بهجت	یوزباشی
۱	محمد افندی حامد	ملازم اول
۱	محمود افندی خلیل	د ثان
۱	محمد افندی حلی	د د
۱	محمد افندی عبد الخالق	صول
۱۳۲ ۱۲۷	صف ضباط وعساكر	
	مذكورون بدون تفصیل	
۹۹	صف ضباط وعساكر	
	بلوك	
عدد		
۱	احمد افندی فہمی	یوزباشی
۱	محمد افندی الموجی	یوزباشی
۱	دھشان افندی عزمی	ملازم اول
۱	سلیم افندی صائب	د د
۱	غنیم افندی مہمد	د ثان
۱۸۱ ۱۷۶	صف ضباط وعساكر	
۶۴۸		

عدد

۶۴۸ ماقبله

مذکورون بدون تفصیل

عدد

۵۲ ۵۲ اقرار

بلوك

الرتب	الاسماء	عدد
یوزباشی	عبد الحمید افندی الجندی	۱
ملازم اول	محمد افندی امین	۱
" "	احمد افندی هادی	۱
" "	سلیمان افندی بهجت	۱
ثان	صف ضباط وعساكر	۱۱۳ ۱۱۷

مذکورون بدون تفصیل

عدد

۷۶ ۷۶ اقرار

بلوك

عدد

یوزباشی	عبد الرحمن افندی نجیب	۱
ملازم اول	محمد افندی نایل	۱
" "	عبد الرحمن افندی الشافعی	۱
" "	عحمود افندی رضی	۱
" "	احمد افندی کامل	۱
ملازم	علی افندی خضر	۱
	صف ضباط وعساكر	۱۳۵ ۱۴۱

۱۰۳۴

عدد

۱۰۳۴ ماقبله

مذکورون بدون تفصیل

عدد

۸۰ ۸۰ اُنقار

بلوك

عدد

الاسماء

الرتب

یوزباشی

۱ یوسف اقدی صفوت

یوزباشی

۱ حسنین اقدی زغلول

ملازم اول

۱ عرفه اقدی احمد

د

۱ ابراهیم اقدی مسلم

ملازم ثان

۱ عبد القادر اقدی خیری

۱۰۷ ۱۰۲ صف ضباط وعساكر

مذکورون بدون تفصیل

عدد

۹۴ ۹۴ صف ضباط وعساكر

بلوك

عدد

یوزباشی

۱ علی اقدی فهمی

ملازم اول

۱ عمار اقدی عونی

ملازم د

۱ یوسف اقدی سری

د ثان

۱ احمد اقدی فضلی

د

۱ محمد اقدی علی

۵

۱۳۱۵

عدد

١٣١٥ ماقبله

عدد

٥ ماقبله

١٥٠ ١٥٠ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٣١ ٣١ أقرار

بلوك

عدد

١	مصطفى افندي حسين	يوزباشى
١	حسانين افندي زغول	ملازم اول
١	ابراهيم افندي مسلم	د
١	عدوى افندي حلى	د
١	حسن افندي أنيس	د ثان

١٦٦ ١٦٦ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٦٣ ٦٣ صف ضباط وعساكر

صناعية يلوک المارة

عدد

٣٢ ٣٢ صف ضباط وعساكر

١٧٦٢ المجموع الكلى

واليك نبذا صغيرة عن بعض ضباط هذا الألاى الذين
أمكننا معرفة شئ عنهم تثبتنا هنا طمعا فى أن يطلع عليها المطلعون
فيوافونا بما يكمل تاريخ حياتهم وتاريخ حياة من لم نعرف عنهم
شيئا ولم نذكر عنهم نبذا :- . . .

١ - أمير الألاى اسماعيل بك صبرى

حضر حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ م ، وحرب الروسيا
سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينة الاسكندرية
فى ١١ يولى سنة ١٨٨٢ م .

٢ - القائمقام محمد بك نسيم

هو والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم . حضر حرب الحبشة
سنة ١٨٧٥ م ، وحرب الروسيا سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٧٨ م . ثم
حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يولى سنة ١٨٨٢ م . وترقى
بعد الاحتلال الى رتبة أمير ألاى . وأحيل الى المعاش بناء على
طلبه . ثم أنعم عليه برتبة الباشوية .

٣ - البكباشى سيف النصر افندى

هو والد صاحب العزة حمدى بك سيف النصر . حضر
ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يولى سنة ١٨٨٢ م وترقى بعد
الاحتلال الى رتبة قائمقام . وتوفى فى الخيمة وهو رئيس قرعة مدينة
الاسكندرية .

٤ - الملازم الثاني احمد افندى فضلى

كان من أنجب تلاميذ المدرسة الحرية التى كانت تحت إدارة الجنرال لارى باشا الفرنسى فى عهد الخديو اسماعيل وحضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ . وبعد الضرب وانسحاب جنود عرابى منها ، عين فى فرقة كفر النوار . فصب الجنود الانكليزية مدافعهم فوق الجبل المجاور لحزان الماء بالقرب من أبى التواتير . ويقال ان الخديو توفيق كان قد توجه الى تلك الجهة ليرى من فوق هذا الجبل خط نار الرايين الذى كان بجهة عزبة خورشيد . فعندما أبصر احمد افندى فضلى بمنظاره تجمعهم فوق الجبل المذكور وكان لا يعلم بوجود الخديو معهم ، أطلق عليهم قنبلة من مدفع كروب وقمت بجوار الخديو توفيق ولكنها لم تنفجر . وقد رُقى بعد الاحتلال الى رتبة لواء ثم أُحيل الى المعاش وهو فى منصب مدير عموم القرعة .

٥ - الملازم الاول محمد افندى لمعى

هو ابن الشيخ عبد الله البوهي ابن الشيخ ابراهيم البوهي إمام المغفور له سعيد باشا والى مصر . تعلم بقسم الصيدلة بمدرسة الطب بقصر العيني وتخرج منه والتحق صيدليا بالجيش إلى أن جهات الحوادث الراية فكان ملازما أول وصيدليا أول فى ١ حى الألى

طوبجية سواحل الذى دافع عن حصون الاسكندرية يوم ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ . وقد نجا من الموت وبقي بالجيش الى أن كانت حوادث السودان وثورة المهدي . فارسل الى السودان صيدليا بأحدى الآلات المصرية . ولما تغلب المهدي على السودان انقطعت أخباره عن ذويه . ومن ذلك الحين لم يتلقوا عنه خبرا إلى أن فتح السودان . وقد تحققوا بعد ذلك انه قتل مع من قتل من المصريين بعد تغلب المهديين على السودان . وقد ترك من الذرية ولدا واحدا كان يسمى ابراهيم محمد لمي توفى وهو قى لم يبلغ مبلغ الرجال .



فهرس

الصفحة	الموضوع
٣ - ٤	المقدمة
٥ - ٣٦	حصون مدينة الاسكندرية
٥ - ١٢	١ - الحصون من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك
١٢	٢ - الحصون فى أواخر حكم المماليك الجراكسة
١٢ - ٢٣	٣ - الحصون قبل حكم محمد على
١٣ - ٢١	سور العرب وتخطيطه وأبراجه
١٣ - ١٤	الجهة الشمالية منه
١٤	الجهة الشرقية منه
١٤ - ١٥	الجهة الجنوبية منه
١٥ - ١٦	الجهة الغربية منه
١٦ - ١٧	جزء من الاسكندرية كان خارج السور وواقفا فى شماله
١٧ - ٢٠	وصف السور ووصف أبراجه وقت مجىء الحملة الفرنسية
٢٠ - ٢٢	تعليق على هذا الوصف
٢١ - ٢٢	الحصون التى كانت بالاسكندرية عند مجىء
	الحملة الفرنسية
٢٢ - ٢٣	الحصون والبطاريات التى أقامها فيها الفرنسيون

الصفحة	الموضوع
٢٣ - ٣٠	٤- الحصون في حكم محمد علي
٢٤	جدول بيان الحصون وتسليحها في هذا العهد
٢٥ - ٢٦	زيادة هذه الحصون في أواخر عهد محمد علي وقائمة بأسمائها وبالمدافع التي سلحت بها
٢٧ - ٣٠	بيان هذه الحصون ومواقعها
٣١	٥- الحصون في حكم إبراهيم باشا
٣١ - ٣٥	٦- الحصون في حكم عباس الاول
٣٥	٧- الحصون في حكم سعيد باشا
٣٥ - ٣٦	٨- الحصون في حكم الخديو اسماعيل
٣٦	المدافع الحديثة التي ابتاعها الخديو اسماعيل لتسليح هذه الحصون بها وعددها وعيارها
٣٧ - ٤٦	موازنة بين هذه الحصون والأسطول البريطاني
٣٧ - ٣٩	وصف هذه الحصون وحالة تسليحها
٣٩ - ٤٠	حصون ساحل الاسكندرية التي كانت معرضة للأسطول وقائمة بأسمائها والمدافع التي كانت بها
٤١	المدافع التي نقلت الى بعض هذه الحصون
٤١ - ٤٢	عدم جدوى المدافع القديمة والمدافع الصغيرة الحديثة في هذه الحرب والبرهان على ذلك
٤٢ - ٤٤	الاسطول البريطاني وقطعه الحربية
٤٣	قائمة بأسماء قطعه والمدافع التي كانت مسلحة بها

الصفحة	الموضوع
٤٤	زفة مدافعها الى عيار ١٦ بوصة
٤٤ — ٤٦	الموازنة بين السلاحين
٤٤	قائمة بمدد مدافع الحصون من ذات العيار الواسع وعيارها وزنها
٤٥	قائمة بمدد مدافع الاسطول من هذا العيار وعيارها وزنها
٤٥ — ٤٦	امتياز الاسطول على الحصون
٤٦	حامية الحصون
٤٦ — ٧٨	الحوادث التي سبقت الضرب والمكائنات الرسمية التي تبودلت قبله
٤٧	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية .
٤٨	برقية من مستر كارتررايت نائب قنصل جنرال انجلترا بمصر الى لورد جراهيل وزير خارجيتها
٤٨	برقية من الاميرالية الانكليزية للاميرال سيمور
٤٩	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية .
٤٩ — ٥٠	قرار مجلس وزراء فرنسا بعدم مشاركة الاسطول الفرنسي للأسطول الانكليزي في الضرب
٥٠ — ٥١	برقية من مستر كارتررايت الى لورد جراهيل
٥١	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية
٥٢	مذكرة من قناصل الدول بالاسكندرية الى الاميرال سيمور .

الصفحة	الموضوع
٥٤ - ٥٣	الاجابة عليها من الاميرال سيمور
٥٤	تعليق على المذكرة والاجابة
٥٥ - ٥٤	بلاغ الاميرال الى قائد الاسكندرية الحربى
٥٥	رد القائد الحربى على هذا البلاغ
٥٦ - ٥٥	برقية الخديو توفيق للباب العالى
٥٧	برقية من الاميرال سيمور الى الاميرالية البريطانية
٥٨ - ٥٧	و و مستر كارتر ايت الى وزير الخارجية البريطانية
٥٨	تعليق على هذه البرقية وأشارة الانكليز على الخديو
	بالنزول فى احدى يوارجهم ولإجابته بالرفض
٦٠ - ٥٨	برقية من مستر كارتر ايت الى لورد جراڤيل
٦٠	رد لورد جراڤيل عليه بريقة أخرى
٦٠	تعليق على مشورة الانكليز على الخديو وعلى اجابته
٦١	مذكرة من مستر كارتر ايت لقناصل الدول الجزائلية بالاسكندرية
٦٢ - ٦١	خطاب منه الى المشير درويش باشا
٦٤ - ٦٢	جواب المشير درويش باشا على هذا الخطاب
٦٤	رسالة الاميرال سيمور الى قائد الاسكندرية الحربى
٦٥	دعوى الانكليز الخوف على أسطولهم من الحصون
	وقيمتها من الواقع والحقيقة
٦٥	شهادة رجل انكليزى ضد هذه الدعوى
٦٥	تعليق على هذه الشهادة

الصفحة	الموضوع
٦٥ — ٦٦	خطاب من مسر كارترابت الى راغب باشا
٦٦	طلب راغب باشا من قنصل ايطاليا التوسط في اجتماعه
	بسفراء الدول
٦٦ — ٦٧	نصح سفير ايطاليا لراغب باشا بمقابلة الاميرال سيمور بنفسه
٦٧	مقابلته وتلقى الانذار التهامي منه
٦٧	مسايعه لدى الاميرال في تلطيف شروطه
٦٧ — ٦٨	عقد جلسة غير عادية من الخديو والوزراء والأعيان
	الخ... لفحص الموقف
٦٨	ما قاله المشير درويش باشا في هذه الجلسة
٦٨ — ٧٣	رأى مرعشلى باشا وقطعة من تقريره . .
٧٣ — ٧٤	رواية أخرى عما قيل في هذا الاجتماع . .
٧٤ — ٧٥	رد الحكومة المصرية على انذار الاميرال
٧٥ — ٧٦	خطاب من راغب باشا الى الاميرال سيمور
٧٧	رد الاميرال على هذا الخطاب
٧٧ — ٧٨	برقية من لورد جراڤيل الى سفراء انجلترا لدى الدول . .
٧٨	برقية أخرى منه الى لورد دوڤرين سفير انجلترا لدى الدولة العلية
٧٨ — ٧٩	تعليق على هذه البرقية
٧٩ — ٨٠	الوسائل التي كان يمكن بها الخروج من هذا المأزق . .
٧٩	الوسيلة الأولى
٧٩ — ٨٠	الوسيلة الثانية

الصفحة	الموضوع
٨٢ - ٨٠	مواقع الحصون من موقف الأسطول . . .
٨٠ بعد	خريطة حصون الاسكندرية وقطع الاسطول البريطاني ..
٨١ - ٨٠	مناطق الحصون
٨٢ - ٨١	مواقف الأسطول الانكليزي
٨١	انقسام مدرعات الأسطول الكبيرة إلى قسمين . .
٨١	القسم الأول - الأسطول الخارجي
٨١	القسم الثاني - الأسطول الداخلي
٨٢ - ٨١	موقف سفن الأسطول الصغيرة
٨٢	الخطة التي رسمت لقسمي الأسطول ونتيجتها
٨٢	جدول يبين النسبة بين قوة الحصون وقوة الاسطول
٨٣	مقاله القومندان جورديتش عن هذه الموازنة
٨٦ - ٨٣	حامية الاسكندرية
٨٦ - ٨٤	وحدات هذه الحامية
٩٢ - ٨٦	استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب
٨٧	أوامر عرابي باشا للطوبجية
٨٨	أوامره للشاة
٩٢ - ٨٨	أوامر الأميرال سيمور لقواد يوارجه وضباطها . .
٩٣ - ٩٢	تطبيق على أوامر الأميرال واستنتاج
٩٤ - ٩٣	البدء بالضرب
٩٧ - ٩٤	حركات الاسطول الخارجي

الصفحة	الموضوع
٩٥ - ٩٦	ماقاله القومندان جودريتش عن جنود المدفعية المصرية .
٩٦ - ٩٧	شهادة الكابتن ولتر جودسول لجنود مدفعية حصن الأطة وقائهم
٩٨ - ١٠٠	حركات الأسطول الداخلى
٩٩	شهادة الماجور توك لجنود مدفعية حصن المكس
١٠٠	خسائر الانكليز من القتل والجرحى
١٠١	ماستهلكه الأسطول من الذخائر
١٠١ - ١٠٢	الأخبار التى كانت تذيبها جريدة الطائف
١٠٢	تعليق عليها
١٠٣ - ١٠٩	التلف الذى حل بالحصون
١٠٣	حصن السلة
١٠٣	قلعة قايتباى
١٠٣ - ١٠٤	حصن الأطة
١٠٤ - ١٠٥	الاسبالية
١٠٥	رأس التين
١٠٥ - ١٠٦	الفنار
١٠٦	صالح أغا
١٠٦ - ١٠٧	أم قبية
١٠٧ - ١٠٨	المكس
١٠٨	قلعة المكس

الصفحة	الموضوع
١٠٨	حصن الدخيلة
١٠٩-١٠٨	المرايط
١٠٩	العجمي
١١٠-١٠٩	خسائر الأسطول
١٠٩	المدركة سلطان
١٠٩	المدركة سورب
١٠٩	المدركة اثنسيل
١١٠-١٠٩	المدركة الكندرا
١١٠	المدركة بنلوب
١١٠	المدركة افلكسيل
١٢٦-١١٠	تقارير الاميرال سيمور عن ضرب الحصون
١١٣-١١١	التقرير الأول
١١٣	قائمة الاميرال سيمور بمدد قتل الأسطول وجرحاه
١١٧-١١٤	التقرير الثاني
١٢٦-١١٧	التقرير الثالث
١٣١-١٢٦	بطولة رجال المدفعية المصرية
١٢٧	شهادة الاميرال سيمور لهم
١٣٧	شهادة القومندان هنت جرب
١٢٨-١٢٧	شهادة القومندان جودريتش

الصفحة	الموضوع
١٢٩-١٢٨	شهادة الاجور تلك
١٣٠-١٢٩	شهادة البارون دكيوزل
١٣١-١٣٠	شهادة وكيل قنصل اليونان في الاسكندرية
١٣٧-١٣١	اثبات أسماء من عثرنا على أسمائهم من ضباط وجنود ١ جي ألاى طوبجية سواحل
١٤٠-١٣٨	نبذ عن بعض ضباط هذا الألاى
١٣٨	رجاء المطلعين عليها بتكليفها وموافقاتا بتاريخ حياة من لم نعرف تاريخهم
١٣٨	أمير الألاى اسماعيل بك صبرى
١٣٨	القائمقام محمد بك نسيم
١٣٨	البكباشى سيف النصر افندى
١٣٩	الملازم الثانى احمد افندى فضلى
١٤٠-١٣٩	الملازم الأول محمد افندى لمى



